عين المدينة

نبنيـها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- أيام اللجوء الأولى ص4
- جيش الشبيحة بدير الزور ص6
- أثـرياء الحرب الـجُدد ص7
- سرقة المنازل المهجورة ص8
- السوق المقبي بدير الزور ص10-11
- إطفاء الطبقة المشلول ص13
- في ذكرى مجزرة حمـاة ص15
- الثورة بعيون غربية ص16-17

عـين المدينـة | العـدد (21) | 1 شبـاط 2014

مجلـة نصـف شـهرية مستقلة

عدسة أسامة - دير الزور

وفـد النظام... وبراميله!

أثنـاء لقـاء الأمـين القـطريّ المساعد لحـزب البعـث بقيـاداتٍ نقابيـة، سُئل عـن مشـاركة النظـام بجنيـف2 فأجـاب إنهـا ليسـت أكثـر مـن فرصـةٍ ليقـوم أعـضاء وفـد الأسـد بنزهـةٍ، و«يضحكـوا علـى جماعـة الائتـلاف»!

ورغـم مـا يبـدو مـن كلام هـذا «المسؤول» مـن غرابـةٍ لمراقبين خارجيين، فإن هذه السماجة هي أرقى ما يمكن أن ينظر به النظام إلى الجهود والمؤتمرات الدوليـة، كمـا يعـرف السـوريون. أمـا مـا هـو أصـدق منهـا فهـم المتظاهـرون مـن مؤيـدي بشـار، الذيـن احتشـد مئـات منهـم حـول مبنـى الاجتماعـات وفنـادق الإقامة، ليرفعوا صور سفّاحهم، ويهدّدوا معارضيهـم بالقـول: «أنـت بـس انـزل ع سـوريا وشـوف شـو رح يصـير فيـك ولا!»

هـذا هـو النظـام، هـذه شـيفرته الجينيـة، وأداؤه الفعلـيّ، الـذي لم تـزده صـور إعـدام 11000 سـجين - في جهـةٍ أمنيـةٍ واحـدة فقـط - إلا انكشـافاً. هـو نظام البراميل التي ظلت تنهال على أهل حلب المحـرّرة منذ ما قبل المؤتمر وأثناءه وبعده، وأضافت إلى نشاطاتها داريّا، دون مغزىً عسكريٍّ البتة، بل لمجرّد المزيد من الدمـار والموت والإجـرام!

ورغـم كـل تشـبيح ووقاحـة وتلاعـب أعضـاء وفـد النظـام، إلا أنهـم يظلون واجهته «النظيفة» المزيّنة بربطات العنـق، وأجمـل الدمـى الـتي يملكهـا لتغطيـة وجـه ضابـط المخابـرات المجـرم القابـع في دمشـق، الـذي يملـي عليهـم مـا يقولـون ومـا يفعلـون، ويـداه ملطختـان بالدمـاء الطازجـة. إنه وحـده وجه النظام الحقيقيّ، وخلاصنا منه هو الحلّ، لينجو أطفالنا من مجازر لم تتوقف، منذ حماة 1982 وحتى الآن.

جنيف2... مصّاصو الدماء بصورة مفاوضين
العدميّة السياسية لدى النظام السوريّ وأسلوب خلق العراقيل

هيئة التحرير

10 أيام خُصّصت كاستراحة للوفدين المتفاوضَين في مؤتمر جنيف2، بعد أيام كان الجهد الأوضح فيها منصباً تجاه إجراء الحوارات التلفزيونية والإذاعية وعقد المؤتمرات الصحفية، التي تؤكد ما قاله المبعوث الدوليّ إلى سورية الأخضر الإبراهيميّ، من أنه لم يتم تحقيق تقدم يذكر، وما زالت الهوة بين الطرفين كبيرةً.

ظهر جلّ التباعد في الرأي والمواقف في ما قاله أعضاء وفد النظام في أكثر من حوارٍ صحفيٍّ على هامش المؤتمر، يوضحون من خلاله أنهم لم يأتوا للتفاوض:

. وليد المعلم: "لمناقشة موضوع هيئة الحكم الانتقاليّ يجب أن تُعرف هوية الطرف الآخر، أهو سوريٌّ أم لا".

. بثينة شعبان: نحن جئنا لإيقاف الإرهاب، وهم جاؤوا لاستلام كرسيّ الحكم.

. فيصل المقداد: "الائتلاف المسمّى المعارضة غير مسؤول وكاذبٌ ولا يمون على أي شيء... المعارضة تدعم الإرهاب في سورية وتدعم إسرائيل".

. عمران الزعبي: "لن يحصلوا على أيّ تنازل لم تستطع إسرائيل أن تحصل عليه طوال نصف قرن".

. بشار الجعفري: "إن هؤلاء الذين هم وراء أعمال الإرهاب في سورية يجب أن يختاروا بين أن يكونوا رجال إطفاءٍ أو من مشعلي الحرائق".

. لونا الشبل: "من ريما فليحان؟".

منطلقات وفد النظام النظرية:

يتضح من خلال مجمل الجلسات، التي أعقبتها مؤتمراتٌ صحفيةٌ من الوفدين ومن الإبراهيمي، أن وفد النظام يضع جملةً من العراقيل قبل الوصول إلى نقاش النقاط الأساسية، وهي "هوية الطرف المعارض . محاربة الإرهاب . ترتيب الأولويات". وقد ركّز أعضاء الوفد في مجمل خطاباتهم وتصريحاتهم على الاستخفاف الواضح بالطرف الآخر، والانطلاق من جملةٍ مفادها أن هذا الطرف لا يعّبر عن المعارضة السورية، إذ شدّد جميع أعضاء وفد النظام على أنه قبل البدء بالمفاوضات يجب أن نعرف "من هؤلاء الذين يفاوضوننا"، متهمينهم بعدم التأثير على الداخل السوري، وعدم قدرتهم على اتخاذ قرارات، ووجود إشكالاتٍ فيما بينهم، وتبعيتهم للادارة الأمريكية.

بينما كانت العقبة الثانية التي وضعها وفد النظام هي "الإرهاب"، حين ركز جميع أعضاء الوفد على أن إيقاف الإرهاب في سورية هو الأولوية الأولى، متهمين وفد الائتلاف بأنه طرفٌ إرهابيّ، بالتعاون مع الكثير من الدول التي حضرت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، دون الخوض في تفاصيل هذا الإرهاب، وإنما بمجرد طرحه كفكرةٍ مرعبةٍ يمكن أن تؤثر في الرأي العام الغربيّ والخارجيات التي تحاول التقريب بين الطرفين.

ويبدو ترتيب الأولويات جزءاً من أسلوبية وفد النظام في عرقلة التفاوض أيضاً، فكانت الإشكالات التي حققها الوفد وسعى إليها في جلستي التفاوض الأوليين (فك حصار حمص . قضية المعتقلين) هي بمثابة إبعاد الوصول إلى أيّ اتفاق حول تشكيل هيئة حكم انتقاليّ، وهو ما حصل بالفعل بعدما تبيّن عدم قدرة وفد النظام على تقديم أي نتائج واضحة على الأرض. بينما كان القبول ببنود جنيف1 بمثابة عرقلةٍ جديدة، حين أكد جميع أعضاء الوفد على ضرورة مناقشة البنود بالترتيب، بشكلٍ يمكّن هذا الوفد من عرقلة الوصول إلى تشكيل الحكومة الانتقالية، عن طريق تضييع الوقت، والخلاف على البنود الأولى المتعلقة بوقف العنف (قضية الإرهاب ذاتها).

وفد المعارضة الهزيل

لا بدّ من القول بدايةً إن ما قدّمه وفد النظام، سيعجز أيّ وفدٍ معارض على الحصول من خلاله على تقدمٍ سياسيٍّ ما أو نتيجةٍ إيجابية، إلا أنه من الواضح أيضاً أن ما قدّمه وفد المعارضة لم يكن سوى تكرارٍ لجملةٍ من المفاهيم التي ما فتئ يتحدث بها منذ بداية طرح مشروع المؤتمر على طاولة الائتلاف الوطني. إضافةً إلى أن مجمل ما صرّح به الأعضاء والناطق الرسميّ باسم الوفد لم يكن سوى ردود أفعالٍ على رعونة وفد النظام، دون القدرة الواضحة على استخدام ملايين الحجج الواقعية على عدم جدية النظام في التحاور، خاصةً مع استمرار قصف حلب بالبراميل المتفجرة وحصار حمص ومعطياتٍ أخرى.. والأوضح أن وفد الائتلاف كان متلقياً للضربات أكثر مما هو مبادر، متهرّباً من طرح أيّة إمكانيةٍ عسكريةٍ أو دبلوماسيةٍ يمكن الضغط على النظام من خلالها، في ظلّ تململ الشارع الثوريّ من المؤتمر ككلّ، ومن وفد المعارضة أيضاً.

الحرّ على مشارف القنيطرة... وتقدمٌ شمال حماة

هيئة التحرير

نفّذ الجيش الحر والكتائب المعارضة الأخرى على مختلف الجبهات جملةً من العمليات العسكرية، إلا أن التقدّم الأوضح خلال الأيام الماضية تركز في محافظتي حماة والقنيطرة، بينما كانت المعارك على مختلف الجبهات الأخرى متقطعة لم تغير من خرائط السيطرة بشكلٍ واضح.

حماة.. التقدّم شمالاً

تقدّمت قوّات الحرّ في الريف الشمالي لمحافظة حماة في عدة مناطق كان أهمها مدينة "مورك"، حيث سيطر الحرّ على مجمل القطع العسكرية والحواجز المجاورة للمدينة، وهي كثيرة، بينما بقيت سرية الدبابات على بعد حوالي كيلومترٍ ونصف من مورك، ويطبق الثوار عليها حصاراً شديداً.

كما تقدم الثوّار في محيط قرية زور الناصرية ومنطقة الويبدة، وهو ما منحهم القدرة على استهداف حواجز النظام ومراكز تجمعه العسكرية مثل مطار حماة الدوليّ وحاجز صوران الشهير.

وهذه العملية العسكرية الجديدة في حماة عمليةٌ استراتيجيةٌ هامة، لأنها تلوّح بفتح جبهات طريق حلب حماة الدوليّ من جديد، وإمكانية السيطرة على الطريق المؤدّي إلى السفيرة وخناصر قرب حلب.

القنيطرة.. التقدّم الحذر

خلال أربعة أيام من المعارك في محافظة القنيطرة تمكنت قوّات المعارضة من السيطرة على قريتي عين التينة والسويسة المتاخمتين للشيك الإسرائيليّ، إضافةً إلى التحكم بطريق درعا - القنيطرة بعد السيطرة على أكثر من 10 قطع عسكرية منها سرايا م/ط والإشارة والدبابات والآليات وحواجز المقسم وإنعاش الريف وأبو حلاوة وغيرها.

وبعد تلك السيطرة أطبقت قوات الحرّ الحصار على قريتي بيت جن وبير عجم بالقرب من مدينة القنيطرة، وهو ما وصفه ناشطون بأنه فتحٌ لجبهةٍ جديدةٍ قد تكون الأقوى جنوباً.

من محيط مطار دير الزور العسكري | عدسة أسامة | خاص عين المدينة

حلب.. منع تقدّم النظام

أمام الكوارث الكبرى التي أنتجتها البراميل المتفجرة في مدينة حلب، والتي أدّت لاستشهاد وجرح المئات خلال الأيام الماضية، ودمار العشرات من المباني السكنية؛ كان منع تقدّم قوات النظام على جبهة النقارين إنجازاً عسكرياً للجيش الحرّ، خاصةً في ظلّ استغلال قوّات النظام لقلة عدد القوات المعارضة الموجودة في المنطقة، وإثارة الفوضى الشديدة إثر مآسي القصف على الجزء المحرّر من المدينة، إلا أن ذلك لم يحقق للجيش النظاميّ ما يريده، وبقيت جبهات النقارين واللواء 80 وتلة الشيخ يوسف على حالها، وتمّ صدّ أكثر من خمس محاولات توغل.

المرج.. جبهة ريف دمشق المشتعلة

حاولت قوّات النظام خلال اليومين الماضيين السيطرة على قرى البلالية والنشابية وحزرما ومحيطها في منطقة المرج بغوطة دمشق الشرقية، وذلك لتشديد الحصار على مجمل المناطق المحاصرة في ريف دمشق، إلا أن قوات الحرّ استطاعت صد التقدّم موقعةً خسائر كبيرةً في أفراد وعتاد النظام، توّجت بإسقاط طائرة استطلاعٍ بالمضادات الجوية.

وعلى الرغم من أن أخبار المواجهات العسكرية في الغوطة الشرقية تبدو ضبابية جداً، في ظل اتفاق بين مختلف الكتائب على عدم نشرها إلا بموجب بياناتٍ نظاميةٍ صادرةٍ عن الفصائل المقاتلة، إلا أن ما يسرّب من تلك المناطق يشير إلى تقدم يحرزه الجيش الحرّ في أكثر من جبهة، وأنّ العمليات العسكرية المعلن منها وغير المعلن تحقق مكاسب على الأرض لا بد أن تعرض رسمياً بعد انقضائها واحدةً تلو الأخرى.

دير الزور... معارك متقطعة

شهدت الأيام الماضية هدوءاً واضحاً على مجمل جبهات محافظة دير الزور، مع الحفاظ على التقدّم الذي حققته قوات الحرّ منذ أسابيع على جبهة مطار دير الزور العسكري، حيث سجلت محاولاتٌ من قبل قوّات النظام للتقدم جنوباً، وهو ما لم يتمّ نتيجة الجهوزية العسكرية الكاملة للثوّار.

الساحل.. قصف مصادر النيران

استمرّت قوات المعارضة المتمركزة في ريف اللاذقية، وخاصةً في قرى جبل الأكراد ومصيف سلمى، باستهداف مراكز مدفعية النظام، وخاصةً في المراصد المواجهة لجبل الأكراد مثل تلا وإنباتة وكفرية وغيرها، حيث سجلت إصاباتٌ محققةٌ في تلك المراصد، إضافة إلى استمرار استهداف مواقع النظام في قمة النبي يونس وصلنفة، بينما بقيت معارك تلك المنطقة على شكل تبادلٍ بالقذائف والصواريخ دون اشتباكاتٍ مباشرة، ويعود السبب الرئيس في ذلك إلى الطبيعة الجغرافية الجبلية في المنطقة، واعتماد النظام على المراصد المرتفعة كمرابض للمدفعية والدبابات.

أيام اللجوء الألمانيّ الأولى

سارة ريحاني

وأخيراً وصلنا إلى ألمانيا، بعد رحلةٍ مثيرةٍ تشبه المغامرات، ولكنها أقل تشويقاً مما يمرّ به غيرنا من السوريين.

لم نكن نتخيل، نحن الأسرة التي عاشت طوال عمرها في دمشق، أن نترك سوريا في يوم من الأيام. أنا، طالبة الطبّ التي كانت تحلم بعيادة أطفالٍ صغيرة، أقف في صفٍّ طويلٍ مع أمي وأبي وإخوتي الثلاثة، ننتظر دورنا لنقدّم أوراق اللجوء في مدينة kalsruhe الألمانية. وصلنا في الصباح الباكر، واستقبلنا عند الباب موظفٌ ألمانيٌّ لا يتحدث الإنكليزية. أعطاني ورقةً لأسجل عليها أسماءنا وجنسيتنا وديانتنا واللغة الأجنبية التي نجيدها. وبعد أن ملأنا الورقة دخلنا إلى "الهايم"، أي المخيم بالألمانية.

قام موظفٌ من أصولٍ أفريقيةٍ بمرافقتنا إلى غرفةٍ مؤقتةٍ نقضي فيها ليلتنا، ريثما نباشر الإجراءات الأخرى في اليوم التالي. تقع الغرفة فيما يسمّى جناح العازبين. وحالما فتح بابها زكمت رائحة النشادر النفاذة أنوفنا، كانت تنبعث من كلّ ركنٍ من الغرفة. ولكن محمود، وهو شابٌّ سوريٌّ كرديٌّ من الجزيرة، طمأننا إلى أن هذه الغرفة مؤقتة، وأنه سيتم نقلنا غداً إلى جناح العائلات.

مضت الليلة ببطء، تقطع سكونها صرخات نساءٍ متذمرات.. في منتصف الليل جاءنا الموظف بزوجين ألبانيين، ليصبح عددنا ثمانية في غرفةٍ واحدة.

في السادسة صباحاً، وقبل شروق الشمس، وقف أبي أمام المبنى الإداريّ لأخذ موعدٍ لتقديم أوراقنا والمباشرة بمعاملة اللجوء. كان الحماس يملؤنا، لا لشيء، وإنما هرباً من الغرفة القذرة.

وقفنا في صفٍّ طويل. كان الموظفون الألمان لطفاء ومتعاونين، على الرغم من الضغط الشديد والعدد الهائل. بعد أن التقطوا لنا صوراً شخصيةً ذهبنا إلى غرفةٍ فيها موظفةٌ عراقية الأصل، شرحت لنا ما علينا فعله. أثناء انتظارنا في صالة أخذ البصمات شاهدنا عائلةً سوريةً من حلب تهيئ نفسها لما يسمّى بمحكمة الطريق، فكانوا يتفقون على روايةٍ معينةٍ لوصولهم إلى ألمانيا...

"كنا ناويين نروح عالسويد بس انمسكنا هون".. انتبه الأب إلى أنني كنت أصغي إلى حديثه فسألني:

- أنتو عرب؟

- إي.. سوريين.

عاد ليلقن أهله القصّة من جديد: "شو كان اسم المهرب بابا؟ قول اسمه أبو إسكندر". جلست بجانبهم عائلةٌ بوسنيةٌ وسألتهم بالإنكليزية عن حال سوريا، فردّت الأم بتهكم: syria is very good.

بعد أن أنهينا إجراءات اليوم الأول قاموا بتسليمنا مفتاح غرفةٍ فيما يسمّى جناح العائلات، وكانت أفضل حالاً من سابقتها. حشرنا أنفسنا في الأسرّة الطابقية الموجودة، وقد ارتفعت معنوياتنا بعد أن أصبح وجودنا في ألمانيا شرعياً، وصرنا محميّين بموجب القانون.

كان نزلاء الهايم من جنسياتٍ متعددة، وكأن كلّ البشرية جاءت لتقدّم طلب لجوءٍ إلى ألمانيا! كان العدد كبيراً، مما صعّب الحفاظ على نظافة المكان وتحسين ظروف المعيشة. ولكن ما كان يعزّي الجميع هو أن وجودهم في هذا المكان مؤقت، فتجدهم كمن ينتظر في محطة القطار موعد فرزه والوجهة التي سينقل إليها.

مذ وصلنا إلى ألمانيا فقد أبي مركزه القياديّ في الأسرة، بسبب جهله التامّ باللغة الإنكليزية، مما ألقى على كاهلي عبئاً إضافياً، إذ أصبحت لديّ مهمةٌ جديدةٌ هي الترجمة، وقد استطعت بما أعرفه من الإنكليزية أن أتفاهم مع الموظفين.

لمَ ألمانيا؟؟ لا نعرف الكثير عن هذه البلاد، إلا ما نسمعه عن التأمين الصحيّ الشامل والإعانة الشهرية التي تبلغ 140 يورو لكلّ شخصٍ كمصروف جيب، أما الطعام والشراب فهو مدفوع الثمن عن طريق البطاقات. ولكن الأهم من ذلك أن ألمانيا تمنح اللاجئ حقوقه الكاملة، إذ أخذت على عاتقها تعليم اللغة الألمانية للاجئين، مما يتيح لهم فرص العمل أو الدراسة.

جمال الطبيعة في هذا المكان، وأسلوب تعامل الألمان الراقي مع اللاجئين، جعلانا نتفاءل بغدٍ أفضل، ولكنه تفاؤلٌ حذر، فما زال وضعنا مجهولاً ولا ندري ما سيكون عليه الحال. أتمنى أن تنتهي الحرب المجنونة في وطني وأن ينتصر الحقّ ويسقط الطاغية، لتتسنى لنا العودة وتدارك ما فاتنا، فمنذ خرجنا من سوريا توقفت حياتنا وأصبحت معلقةً بحقيبة سفر..

لاجئة سورية في ألمانيا

المرأة بعد التحرير... محاولات الخروج من الشرنقة

هنادي عبد الوهاب

عقودٌ تتالت في ظلّ النظام الأسديّ المشرف اليوم على الهلاك، عاشت فيها المرأة السورية وهي تحاول الخروج من الشرنقة لتستنشق هواءً نقياً وتحيا في جوٍّ يليق بالطاقة التي تمتلكها، إلا أنها كانت تصطدم على الدوام بقوانين مهترئةٍ أرادت لها أن تبقى خارج دائرة الحياة، وتنظيماتٍ وهميةٍ واتحاداتٍ زائفةٍ لم تجمع على إلا على ضرورة تحويلها إلى كائنٍ غير فاعلٍ ينخرط في أنشطةٍ وهميةٍ متعددة.

"عين المدينة" حاولت رصد واقع المرأة بعد التحرير في دير الزور وريفها، ومدى انخراط هذا الكائن في الحياة العامة بعد الثورة، فالتقت بالسيدة نوران أحمد، العاملة في إحدى مؤسسات المجتمع المدنيّ، لتحدثنا عن أهم المجالات التي حاولت المرأة اقتحامها بعد التحرير، فقالت: يمكن أن ينقسم عمل المرأة ومساهمتها في الحياة العامة إلى طورين؛ الأول مرتبطٌ بالهمّ الانسانيّ وجاء مباشرةً بعد التحرير، فرأينا العديد من السيدات يشكلن مجموعاتٍ معلنةٍ للعمل في المجال الإغاثيّ مثلاً، فشاهدنا فتياتٍ يعملن في متابعة عوائل الشهداء ومحاولة البحث عمن يعيلهم والتواصل مع الجمعيات العاملة على الأرض أو الجهات الداعمة، كما كانت لهنّ مساهمةٌ كبيرةٌ في العمل الإغاثيّ عموماً. أما الطور الثاني فجاء بعد أشهرٍ من التحرير عندما أدركت أن دورها لا يتوقف عند الهمّ الإنسانيّ، فبدأت بالانخراط في العديد من الأنشطة الاجتماعية سواءً بشكلٍ فرديٍّ أو منظم، من خلال عمل العديد من المؤسسات التي كان للمرأة دورٌ في تأسيس بعضها. ففي المناطق المحرّرة من المدينة برزت سيداتٌ كثرٌ في مجال العمل الاجتماعي، فحركة نشطاء مثلاً ضمّت العديد من النساء الفاعلات في مجالات التثقيف والتوعية الصحية والعمل الميدانيّ، وكذلك منظمة صامدون، ومؤسسة سما لحقوق الإنسان، وغيرها. ولم تكن النساء أقلّ تنظيماً في مدينة الميادين، فهناك العديد من المؤسسات التي لعبت النساء دوراً كبيراً في تأسيسها وتطويرها، ففي مؤسسة خطوات مثلاً تفوق نسبة النساء العاملات نسبة الرجال. وحين وجدت المرأة مؤسساتٍ عديدةً تقتصر على الذكور تشجعت على محاولة تشكيل توليفاتٍ نسائيةٍ خاصةٍ بالمرأة وتهدف إلى النهوض

بها، فمنظمة اللؤلؤ المكنون مثلاً تقتصر على مجموعة من الفتيات عملن على تشكيل تجمع خاصٍّ بهنّ يهدف إلى تعميق الوعي لدى النساء عموماً. ومن التجمعات النسائية التي برزت فيها المرأة بشكلٍ ملفتٍ كان تجمع الحرائر – وأقصد حرائر الميادين – اللواتي عملن على إعطاء صورةٍ جميلةٍ عن الثورة السورية وثائراتها، فأقمن العديد من الأنشطة المميزة والمهمة، وشجّعن على إبراز الجانب الفنيّ في المنتسبات إلى التجمع من خلال المعارض.

العمل الاجتماعيّ علاجٌ للبطالة وتوقف الجامعات

وعن الشرائح الاجتماعية الأكثر فعاليةً وأعمار الإناث اللواتي حرصن على أن يكون لهنّ دورٌ اجتماعيّ، التقينا بالآنسة أريج ناصر، وهي طالبةٌ جامعية، فقالت: إن الشريحة الأكثر عطاءً وتفاعلاً كانت شريحة الفتيات الجامعيات. وإذا نظرت الآن نظرةً سريعةً إلى التنظيمات العاملة على الأرض فلن يكلفك الأمر الكثير من العناء لتدرك أن الإناث من سنّ عشرين إلى ثلاثين سنة هنّ الأكثر حيويةً وتفاعلاً، وليس هذا غريباً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن تعطل الدراسة بشكلٍ نسبيٍّ في بعض الجامعات، وصعوبة الوصول إلى بعضها الآخر لأنها تقع في مناطق واقعةٍ تحت سيطرة النظام الأسدي، قد أدّى إلى بقاء قسم كبير من فتياتنا بلا دراسة، وقسم كبير من الخريجات أيضاً بلا عمل، وهذا الفراغ هيأ لهنّ وقتاً كافياً للانخراط في العمل الاجتماعيّ والمشاركة، بل وربما تأسيس العديد من مؤسسات المجتمع المدنيّ، لتشكل بدايةً محفزةً للخروج من الشرنقة.

جيش الدفاع الوطنيّ
أو جيش الشـبّيحة بدير الزور

أيمن سليمان

تقدّر أعداد شبّيحة ما يسمّى جيش الدفاع الوطنيّ بدير الزور، العاملة في كل من حيّي الجورة والقصور، بـ 400 إلى 500 عنصر، يقودهم حميدان العرسان، وهو ضابطٌ متقاعدٌ برتبة عميد، أعيد إلى الخدمة بعد اندلاع الثورة، ورُفع بعد ذلك إلى رتبة لواء. ويتألف هذا الجيش من عدة كتائب أهمها ما يسمّى بكتيبة الصحوة، التي يتزعمها حازم الشعلان، المولود عام 1976 بحيّ العمال شرقيّ المدينة. وهو واحدٌ من أشهر المجرمين في المحافظة، ارتكب في مراهقته جريمة قتل أمام أحد الملاهي الليلية فسجن لسنواتٍ عدّةٍ عقوبةً على ذلك، وما أن أطلق سراحه حتى قام بتأسيس عصابةٍ إجراميةٍ نفذت عدّة عمليات سرقةٍ وسطوٍ مسلح، إضافةً إلى تهريب المخدرات، ليعود إلى السجن مرةً أخرى، ولا يخرج منه إلا هرباً، بمساعدة جهاز الأمن العسكريّ، في الشهر السادس من عام 2012، بعد سيطرة الجيش الحرّ على أجزاء واسعةٍ من مدينة دير الزور، ليبدأ من حينها عمله كجاسوسٍ لهذا الجهاز على الثوار.

ويتحمل الشعلان المسؤولية عن قصف مقر الهيئة الشرعية، من خلال تحديد موقعها لطائرات الأسد، مما تسبّب بسقوط عددٍ من الشهداء. وبعد هذه الحادثة حامت الشبهات حوله مما دفعه إلى الفرار خارج الأحياء المحرّرة، ليظهر لاحقاً في حيّ الجورة المحتلّ، كواحدٍ من زعماء الشبّيحة، إلى جانب عامل المقهى السابق الملقب بـ (فراس العراقية)، الذي يعتبر نائباً للشعلان في قيادة ما يسمّى بكتيبة الصحوة، ومحمود النهر، العامل السابق في شركة خدماتٍ تتعهد تنظيفات المشفى العسكريّ بدير الزور، والذي برز هو الآخر كمخبر وشبّيح ثم قائدٍ لكتيبةٍ ثانيةٍ من جيش الدفاع تسمّى كتيبة "استرداد الحق"، التي تعمل هي الأخرى في الجزء الغربيّ المحتلّ من مدينة دير الزور، وتسيّر دورياتٍ داخل هذا الجزء وعلى أطرافه، وتقيم حواجز ثابتةٍ تدقّق في هويات المارّة بحثاً عن المطلوبين وفرضاً للهيبة والحضور على السكان، كما يفعل مروان الدندل وشقيقه الملقب زينكا، الفارّين من حي العمال المحرّر، على حاجزهم في شارع الوادي. ويشارك هؤلاء الشبّيحة عادةً إلى جانب المجموعات العسكرية والأمنية بالمعارك على الجبهات، كما حدث في مواجهات الحويقة والرشديّة وعياش، والتي قتل فيها العشرات منهم، من دون أن يحصل ذووهم على أي تعويضٍ أو بدلٍ ماديٍّ من النظام.

تتخذ مجموعات الشبيحة المنضوين تحت مظلة جيش الدفاع من مبنى اتحاد الفلاحين مقراً لها. ويتمتع قادتها وعناصرها بنفوذٍ واسع تتيحه علاقاتهم القوية جداً بالأفرع الأمنية. وينتمي معظم أفراد هذه المجموعات إلى طبقاتٍ اجتماعيةٍ دنيا، ولأغلبهم سوابق إجراميةٍ في السرقة وترويج المخدرات وحبوب الهلوسة، إضافةً إلى أميّة أكثرهم وجهلهم بالقراءة والكتابة. وتضاف إلى هذا النوع أعدادٌ أخرى من الشبّان المتحدّرين من قرى ريف دير الزور الغربيّ على وجه الخصوص، وبعض هؤلاء كان منتمياً شكلياً إلى كتائب الجيش الحرّ التي تشكلت في تلك المناطق بعد تحريرها، بدوافع النهب والسرقة وحماية مؤيدي النظام ومخبريه من انتقام الثوار. وهناك أيضاً جزءٌ ثالثٌ من هذا الجيش هم بعض أفراد جيش النظام المنشقين أو المتخلفين عن الالتحاق بقطعاتهم خوفاً من الجيش الحرّ، والذين آثروا تسوية أوضاعهم والالتحاق بمجموعات الشبّيحة المقاتلين. ويتم تجنيد كل هؤلاء من خلال شبكة سماسرةٍ ومخبرين، ينتشرون بشكلٍ خاصٍّ في المؤسسات الحكومية. ويتلقى عناصر جيش الدفاع رواتب شهريةٍ تصل إلى 20 ألف ليرة، مع ميزاتٍ أخرى كسلال المواد الغذائية المسروقة من مستودعات الهلال الأحمر، وبطاقاتٍ خاصةٍ للحصول على وقود التدفئة، وإطلاق أياديهم في سرقة المنازل التي هجرها أصحابها، كما يفعل مؤيد الحوت، المختصّ بنهب أثاث البيوت الخالية؛ وغير ذلك من المغريات التي تتفاخر عائلاتهم بالحصول عليها، دون أيّ خجلٍ من كون أبناء هذه العوائل هم مجرد خونةٍ ومجرمين ولصوص.

مع العميد زهر الدين، على اليسار حازم الشعلان، على اليمين فراس العراقية

أثرياء دير الزور الجدد

خليل عبد الله

بركة نفط خام، على أطراف قرية خشام بدير الزور | عدسة فراس

كان (س) 34 عاماً عامل تهريب مأجور، أو حمالاً ينقل الدخان المهرّب ويأخذ أجرته بالقطعة. ولم يكن هذا العمل كافياً لسدّ رمق (س) شبه الأميّ وقليل الحيلة والإمكانات، كما يصفه من عرفوه سابقاً. إلا أن هذه المعرفة لم تكن دقيقةً كما يبدو، فقد فاجأ (س) معارفه وأصبح اليوم واحداً من كبار تجار السلاح، وواحداً ممن يحدّدون سعره في محافظة دير الزور كلها، يملك عدداً من السيارات الفخمة، ويمشي بين الناس برفقة حراس، فقد أصبح هذا الأجير المغمور سيداً محلياً وصاحب أعمالٍ ومنافساتٍ وخصوم كأيّ رجل عمليٍّ ذي تأثير. تزوج (س) منذ مدّة قريبة، وانطلقت عقب زواجه شائعاتٌ كثيرةٌ تتحدث عن الأموال التي أنفقت في هذا الزواج وحفل الزفاف، وصل بعضها إلى رقم 10 ملايين ليرة سورية، غير الذخيرة التي أطلقت من البنادق والرشاشات ابتهاجاً بالعرس، وما رافقها من قنابل صوتيةٍ وأخرى مضيئةٍ لتضيء سماء قريته، كما أضاءت الثورة والحرب حياة (س) المظلمة، ليخرج من عالم البؤس الى النعيم. فقد تغيرت حياته رأساً على عقب، وابتسم له الحظ لدرجةٍ تفوق الأمنيات، فلا يدري اليوم أين ينفق الأموال التي يجنيها من تجارة السلاح، ولن تكون هواية الخيول الأصيلة التي هويها مؤخراً كافيةً للإجابة عن هذا السؤال.

أمثال (س) كثيرون، كما يقول محمد، وأمثالي أنا أيضاً - يضيف الرجل الخمسيني - ممن فقدوا أموالهم كثيرون. وبالفعل خلقت الحرب اقتصاداً آخر وأعادت توزيع الثروات بطريقةٍ سريعةٍ وعشوائيةٍ ومتغيرةٍ من مكانٍ إلى آخر داخل المحافظة نفسها. ويمكن للمراقب أن يرصد ملامح وعوامل رئيسيةٍ في هذا التوزيع، فتجّار مدينة دير الزور على سبيل المثال هم الأكثر تضرراً، إذ فقدوا أجزاء من رؤوس أموالهم، والمتمثلة بالبضائع التي تركوها داخل المستودعات وقت نزوحهم هرباً من القصف في صيف العام 2012، مما عرّضها للتلف والنهب والضياع، وكذلك تعطل أجزاءٍ من رأس المال بتوقف أعمالهم بشكلٍ كاملٍ في المتاجر والمحلات، فضلاً عن التدمير المتواصل بفعل القصف بأشكاله المختلفة.

أما تجار مدينة الميادين فقد حملت إليهم الحرب وآثارها فرصةً لا تعوّض، بتحوّل مدينتهم إلى مركز المحافظة الاقتصاديّ الأول، لأنها تحرّرت بكاملها في وقتٍ مبكر، ولا تقع في مرمى مدفعية الأسد، وينحصر القصف عليها بالطيارات فقط، وهي قليلةٌ نسبياً بالمقارنة بالغارات شبه اليومية على مدينة دير الزور والمناطق المحيطة بها. ويعزّز اقتصاد الميادين أيضاً وجود عددٍ كبيرٍ من النازحين إليها، مما يعني طلباً كبيراً على مختلف أنواع البضائع، بغضّ النظر عن القدرة الشرائية التي تغيّرت هي الأخرى وإلى حدٍّ كبير. ويضاف إلى هذا كله وقوع الميادين في موقع جغرافيٍّ يتوسّط الريف الشرقيّ المحرّر، وقربها من أسواق النفط المستخرج عشوائياً ومراكز تكريره البدائيّ، مما يضيف رافداً مالياً هائلاً يصبّ في أسواق هذه المدينة. ويتندّر بهذا الحلاق مصطفى عندما يقارن بين زبائنه العاديين والزبائن "السوبر" من أصحاب الحرّاقات، الذين يأتون من القرى القريبة إلى محله للحلاقة بشكل دوريّ، "ويرمون بالخمسمئة ليرة على كل حنجرة دقن"، كما يقول.

وفي البوكمال، التي نالت أثناء معارك تحريرها قسطاً كبيراً من القصف، مما تسبب بضررٍ كبيرٍ في الممتلكات من بيوتٍ ومحلاتٍ وغير ذلك؛ استطاعت هذه المدينة النهوض من جديدٍ وأخذت تتعافى من آثار الحرب، واستطاع معظم التجار استئناف أعمالهم، مستفيدين بدورهم من مكاسب الاقتصاد الجديد، ومتجاوزين لمعظم الآثار السلبية المتمثلة في انقطاع أو اضطراب طريق التجارة إلى حلب ودمشق، بعد أن وجدوا البدائل - مثلهم مثل تجار الميادين - في البضائع التركية. ودائماً، بحسب ما يقول خليل، وهو التاجر الشاب: هناك زبونٌ لأيّة سلعةٍ مهما ارتفع ثمنها. ويضيف ضاحكاً: ولدينا نحن أيضاً آبار نفطٍ وصهاريج وحرّاقات.

سرقة الأثاث المنزليّ في دير الزور

أحمد الصالح

استباحت قوّات الأسد بجنودها وضباطها، وبتشكيلاتها وأسمائها المختلفة، المدن والقرى على امتداد البلاد، لتكون بحقّ عصابة السرقة الأكبر في سوريا، وتشهد على ذلك أسواق الأثاث المسروق في المناطق الموالية للأسد. ومن جانبٍ آخر هناك عصاباتٌ لصوصٍ كثرٍ ليست من النظام، تعمل في المناطق المحرّرة، مستغلةً الفوضى الناجمة عن الحرب وغياب الرادع أو العقاب.

وفي دير الزور نزح السكان من كافة أحياء المدينة المحرّرة، وبنسب متفاوتة، هرباً من القصف المتواصل، مما أتاح الفرصة للصوص لينهبوا بيوت النازحين، كما يقول عمر، وهو شابٌّ يقيم في حي الحميدية المحرّر وسط المدينة. ويضيف: أذكر أن هذا الحيّ – ذا الكثافة السكانية الضخمة – خلا من قاطنيه، باستثناء عجوز هنا وآخر هناك. واستمرّ هذا الحال لفترةٍ طويلة، فمن الطبيعي أن تحدث السرقة، إذ كان لصٌّ واحدٌ يستطيع سرقة حارةٍ كاملةٍ دون أن يراه أحد.

وأما في الأحياء التي احتلتها قوّات الأسد ثم استطاع الثوار تحريرها، مثل الصناعة والمطار القديم، فقد عملت هذه القوّات على سرقة معظم البيوت أو إطلاق يد اللصوص فيها، كما يروي أبو محمد، وهو من سكان حيّ الصناعة، إذ يقول: نزحت عائلتي بعد اقتحام قوّات النظام للحيّ، وبقيت في منزلي. كان ضباط الجيش يقومون ببيع الأبنية للصوص؛ نعم يبيعونها للصوص، إذ يقوم الضابط المسؤول بالسماح للسارق بإخلاء البناء خلال مدّةٍ معينةٍ من الوقت لقاء مبلغ. وتبلغ الوقاحة بهم أن يقوموا بعرضها على شكل مزاد، ومن يدفع أكثر في الساعة يحظى بالصفقة!

وبحسب ما يُسمع من أحاديث النازحين، الذين لا يكفّون عن المغامرة بزيارة منازلهم تحت القصف، لتفقدها من السرقة أو التدمير بفعل القذائف؛ يركز اللصوص على الأدوات الكهربائية من الغسالات والبرادات وأجهزة التكييف وما إلى ذلك. وغالباً ما يدفع أصحاب المنازل مبالغ كبيرةً لنقل هذه الأدوات الى أماكن نزوحهم. ويعلق عبد الرحمن، وهو مقاتلٌ من الجيش الحرّ: لا أنكر حدوث سرقاتٍ بشكلٍ كبيرٍ في المدينة. لكن، حتى عندما كان الأهالي في منازلهم، والنظام قائماً، كانت السرقة تحدث وباستمرار. السرقة موجودةٌ منذ القدم، فما بالك في وضع الحرب والفوضى الحاصلة، عندما تصعب السيطرة على هذا الأمر. رأيت الكثيرين من قبل يدخلون منازل ويخرجون الأثاث والأمتعة، ولا أعلم حقيقةً إن كانوا أصحاب المنزل أم لصوصاً، إذ لم تكن هناك آليةٌ لمعرفة ذلك. وفي الحقيقة لم نكن نلتفت إلى هذا الأمر، إذ لم نكن نعتقد أن أحداً يفكر بالسرقة وبلدٌ بأكمله يُدمّر وأرواحٌ تُزهق. أما عبد الله، وهو مقاتلٌ آخر كان يرابط على جبهات حيّ الصناعة، فيذكر أنهم لم يهتموا أبداً للأثاث لأن المنازل ذاتها كانت تتعرّض للقصف والتدمير في كل يوم. ويضيف بأنهم لم يخرجوا أثاثاً من أيّ منزلٍ إلا بدافع الحاجة لاستخدامه في ذلك الوقت. ولا ينكر بعض السلوك الفوضويّ الذي مارسه بعض المقاتلين في التعامل مع البيوت المفتوحة، وإن كان هذا بنوايا حسنة. ولا يبالي أبو محمد، وهو نازحٌ في مدينة الميادين، بما سُرق من منزله بحيّ المطار القديم، ويحاول أن يخفف من حدّة اللهجة في شكوى زوجته من سرقة غسالتها الأوتوماتيكية، ويعلق بأن الكثير من البيوت دمرت وسويت بالأرض، وبيتهم لم يُصب بأية قذيفة، ثم إن البيت كله غير مهمٍّ بالمقارنة مع الخلاص من المجرم بشار الأسد، كما يقول.

بعد سرقة الأثاث | منزل من حي المطار القديم

وتحاول الهيئة الشرعية منذ مدّة القضاء على هذه الظاهرة، من خلال تقييد عمليات نقل الأثاث داخل المدينة وإلى خارجها بقراراتٍ تمنع ذلك من دون الحصول على إذنٍ رسميّ، وبعد إثبات صاحب الأثاث ملكيته له. وتبذل الهيئة جهوداً كبيرة لملاحقة اللصوص والتصدّي لهم، وخاصة مع تطوير هؤلاء لأساليبهم، مثل تجميع المسروقات في بيوتهم الحقيقية بالتدريج، ثم طلب إذن الهيئة لنقل هذا الأثاث إلى خارج المدينة، ثم بيعه!

طلاب دير الزور الجامعيّون
خسارةٌ لا يعوّضها إلا سقوط الأسد

حياة الخضر

لا توجد إحصاءاتٌ عن أعداد الطلبة السوريين الذين حُرموا من متابعة تحصيلهم الدراسيّ في الجامعات السورية. ولكن، ووفق تقديراتٍ عامة، تصل نسبة هؤلاء إلى أكثر من 50% من العدد الإجماليّ للطلبة. وترتفع هذه النسبة كثيراً إذا قلصت العينة لتشمل أبناء المناطق المحرّرة فقط. ويُفهم بسهولة، بالنظر إلى الطبيعة الإجرامية للنظام، أن يتوقف الطلاب المنخرطون بأنشطةٍ ثوريةٍ عن متابعة تعليمهم من تلقاء أنفسهم، إلا أن هذا غير مفهومٍ من طلبةٍ آخرين أخذوا موقفاً حيادياً من الثورة المندلعة منذ ثلاث سنواتٍ تقريباً. ويبرّر هؤلاء انقطاعهم عن جامعاتهم بالخوف من الملاحقة الأمنيّة والاعتقال لمجرّد أنهم ينتمون إلى المناطق المحرّرة، مثل عبد الله، طالب الهندسة الزراعية في جامعة الفرات بدير الزور، الذي يؤكد أنه، ورغم تعاطفه مع الثوار وكراهيته لنظام الأسد، لم يقم أبداً بأيّ نشاطٍ ثوريّ، ولم يشارك بأيّة مظاهرة، ورغم ذلك اعتقل على حاجز البانوراما أثناء توجهه لتقديم الامتحان صيف العام الماضي، ولم يخرج إلا بعد أسابيع عدّةٍ تعرّض خلالها لتعذيبٍ وحشيٍّ في فرع المخابرات العسكرية بدير الزور، وفاته الامتحان خلال هذه المدّة، وقرّر بعد خروجه من المعتقل أنه لن يعود إلى دراسته إلا بعد رحيل النظام. ويعلّق فراس، وهو طالبٌ في كلية هندسة البترول وعضوٌ في اتحاد الطلبة الأحرار، على الملاحقات والانتهاكات الأمنية بحق الطلاب قائلاً: بكلمةٍ وحيدةٍ أنا معارضٌ

إعتصام في كلية الطب بجامعة الفرات

وليس لي الحق أن أدرس، لأن الجامعات هي ملكٌ لبشار ونظامه. ويقدّر فراس أعداد المفصولين من الجامعات بعشرات الآلاف، ومثلهم من النازحين في الداخل، إضافةً إلى آلاف المعتقلين. ويسعى اتحاد الطلبة الأحرار، كما يقول، إلى توثيق الانتهاكات المسجّلة بحقّ طلبة الجامعات. كما يحاول هذا الاتحاد، وبالتواصل مع جامعاتٍ في الخارج، تأمين منح دراسيةٍ للطلبة المحرومين من متابعة تحصيلهم، وهي محاولةٌ لن تكون بديلاً بأيّ من الأحوال عن الفرص الطبيعية للطلبة في جامعاتهم السورية. والمشكلة لن تحلّ، كما يؤكد معظم الطلاب، إلا حين تحرّر جميع الجامعات من سلطة نظام الأسد وشبّيحته ومخبريه، الذين حوّلوا هذه الصروح العلمية إلى ثكناتٍ للقمع والتخويف والإرهاب. وما زال كثيرٌ من السوريين يتذكرون عمار بالوش، طالب الهندسة الطبية في جامعة دمشق، الذي قام بإطلاق النار على بعض الشبّيحة من طلاب هذه الكلية، ثأراً لتنكيلهم العلني به وإهانتهم له بالسحل والضرب، بالاشتراك مع شبّيحةٍ جاؤوا من خارج الجامعة، في ساحة الكلية وأروقتها، وعلى مرأى ومسمع الطلبة الآخرين.

وبالنظر إلى عدد منتسبي جامعة الفرات البالغ 10 آلاف طالب موزّعين على كلياتٍ عدّة، تتركز معظمها في مدينة دير الزور؛ فإن ثلثي هذا الرقم، بحسب تقديرات الناشطين، انقطع عن دراسته لأسبابٍ تعود بمجملها إلى الخوف من الملاحقة الأمنية والاعتقال، وانعدام الظروف الملائمة للدوام والدراسة. فليس من المعقول أن تفكر بمستقبلك وجامعتك وأنت تلوذ بسقفٍ أو جدارٍ هرباً من شظايا القصف بقذائف بشار الأسد الذي تملأ صوره حيطان الكليّات، كما يقول أحمد، طالب الآداب المقيم بحيّ الحميدية المحرّر. وليس من المعقول أيضاً - يضيف أحمد - أن أداوم أو أقدّم امتحاناً لأضفي شرعيةً ما على نظام عصابة الأسد، وليس صحيحاً أن هذا أمرٌ منفصل، لأن الجامعات والمدارس وحتى المشافي وغير ذلك من المؤسسات التي يفترض أن تكون للدولة السورية هي في واقع الحال، ومنذ سنين طويلة، مؤسساتٌ لنظام الأسد. ولا يمكن أبداً أن أنسى أصدقاءً وزملاء وإخوةً لي في هذه الجامعات هم الآن بين شهيدٍ ومعتقلٍ ونازح، ولا يمكن بأيّ حالٍ تعويض ما جرى إلا بسقوط بشار الأسد. ويجادل طالبٌ جامعيٌّ آخر يقيم في حي القصور المحتلّ، رفض ذكر اسمه، في أن استمراره في دراسته أمرٌ طبيعيّ، فلا بدّ أن تستمرّ الحياة مهما حصل، وليس من الحكمة تضييع سنواتٍ ثمينةٍ من حياة الإنسان، كما يقول. ويأسف هذا الطالب، هو الآخر، لمقتل واعتقال وفصل زملاءٍ له في الجامعة.

اتحاد طلبة سوريا الأحرار

السوق المقبي... محاطاً بالركام والدم

بلال عبد القادر

جدرانٌ عتيقة، سقفٌ مُقبّب، وأعمدةٌ خشبية؛ عبقٌ يحيلك إلى زمنٍ غير هذا الزمن، إنه السوق المقبي في دير الزور، ذاك المكان الذي تتبع فيه أثر كل زائرٍ للمدينة أو مقيم فيها، عبث به الزمن والعوامل الجويّة أمام عين السلطة القائمة قبل الثورة. ثم بكاه أبناء المدينة وهم يرون أجزاءً كثيرةً منه تنام نومتها الأخيرة على الأرض، وقلةٌ منهم كانوا يعون تاريخه وأهميته والإهمال الذي لاقاه خلال عقودٍ من الزمن.

"عين المدينة" حاولت التعريف به وهو يقف - أو ما تبقى منه - وسط النار محاطاً بالركام والدم. التقينا بالمهندس المعماريّ ثائر عابد عبد الهادي، أحد المهتمّين بتراث المنطقة، فأفادنا بالقول: في عام 1864 عين السلطان العثماني والياً هو محمد ثاقب بيك الأورفلي، وهو أول والٍ يعيّن على لواء "الزور". ووجد هذا الوالي أن اللواء - في حالته التي كان عليها - يحتاج إلى عمالٍ يجيدون فن العمارة، فاستقدم من الموصل نجارين وبنائين، وأمر ببناء مسجد السرايا، وعلى محاذاته المحكمة البدائية الأولى، وكذلك أمر ببناء السوق الميري - سوق الحبوب - وانتهى بناء الكتلة التي تضمّ بقية الأسواق التي تميزت بسقفٍ هو عبارةٌ عن قبو سريريٍّ مستمر ذي عقدٍ مدبب، ومادته من الحجر والطين، مزودٍ بفتحاتٍ خاصة لتأمين الإنارة والتهوية.

وحول أهم الأسواق التي يتألف منها أضاف:

سوق العطارين: وأهم الأسماء التي مرّت عليه من الجيل الأول الحاج عبد الفتاح آل فخري ورشيد الركاض، ومن الجيل الثاني حميد النجم وعبد القهار ركاض وطه السارة وعبد السلام آل فخري. ويضم السوق الأعشاب الطبية والعسل والتمر والزيوت والحنة والتوابل والصابون بأنواعه وخيوط القطن والليف، حتى تاريخ إغلاق هذا السوق بعد بدء القصف على المدينة.

سوق التجار: الذي ينتهي بالبوابة العثمانية، ويتصل بسوق القصّابين من الجهة الشمالية الغربية، وبسوق عكاظ من الجهة الشرقية، ويتصل غرباً بسوق الحبال. ويعدّ هذا السوق من أكثر شبكة الأسواق نشاطاً، إذ يتمّ فيه تصريف كمياتٍ كبيرةٍ من السمن البلدي والصوف، ويحتوي على الملابس الجاهزة والأحذية والحقائب، بالإضافة إلى الملابس المصنوعة من الفرو والصوف بشكلٍ يدويّ.

سوق الحدادين: وهو سوقٌ يحتلّ مكاناً قريباً من السوق المقبي، ولذلك يعتبره الناس جزءاً منه. هدم هذا السوق عام 1936، ورفض رئيس البلدية آنذاك "الحاج فاضل" أن يعاد إعماره في المكان نفسه، بحجة الرغبة بتوسيع الساحة العامة التي يحاذيها السوق، إلا أن وفاة هذا المسؤول دفعت الحدّادين إلى محاولة الحصول على رخص إعمار السوق من جديد. وفي هذا السوق، الذي يرتبط بكتلة الأسواق بسوق الحبال، تجد العديد من الأدوات التي لا تجدها في غيره، مثل الحشاشة التي تستخدم لجز العشب والمنجل والكريك وسرير الأطفال والفأس والسكاكين.

ويتميز هذا السوق عن غيره بأن أرباب المصلحة فيه كلهم من آل العليوي،

وعلى رأسهم كان أحمد سعيد الكجيجة، الذي ظل يعمل في السوق حتى وفاته عن عمر ناهز التسعين عاماً.

ومن الجدير بالذكر أن هذا السوق يضم محلاً لا يمكن لأيّ شخص أن يمرّ به دون أن يعرّج عليه، وهو محل الحاج مزعل، والذي تنسب إليه "دلال مزعل" الشهيرة، تلك الدلاء الخاصة بالقهوة المرّة، والمصنوعة من قطعة واحدة، وكانت لها شهرةٌ كبيرةٌ في سوريا كلها، ولم يتمكن من اقتنائها إلا الأشخاص الذين يتمتعون بمكانة مرموقة اجتماعياً، كشيوخ العشائر مثلاً. وقد بقي حفيد مزعل، علي إسماعيل المزعل، يحافظ على مهنة جدّه حتى الأيام الأخيرة قبل إغلاق السوق وتشريد أهالي المدينة بسبب القصف العشوائي.

سوق عكاظ: ويقع بين سوق التجار يميناً وسوق العطارين شمالاً. وكان يسمى أيضاً سوق بغداد، لأن معظم بضائعه كانت تأتي من هناك. ويتألف السوق من 40 محلاً تختصّ بتجهيز العرائس، إذ كانت العروس تحضر إلى السوق فتجد فيه كل ما تحتاج من مستلزمات. وقد تغيرت نوعية البضائع بحيث تناسب ذوق أبناء الريف، الذين صاروا في السنوات الأخيرة هم الأكثر تردداً عليه. وبالإضافة إلى الأقمشة دخلت إلى السوق الملابس الجاهزة والبطانيات والسجاد.

سوق السلاح: وهو السوق الذي يقع بين سوق القصّابين وسوق الحبال. ولم تكن هذه المهنة موجودةً بشكل واضح في السوق قبل دخول إبراهيم باشا إلى سوريا، فقد ارتبط نشوء هذه المهنة وتطورها بتلك الحملة التي قام بها على بلاد الشام. وكانت هذه المهنة تسمى أيام الاحتلال الفرنسي السمكرة، وأيام العثمانيين كان يطلق على العاملين فيها اسم السقمقجية.

كان النشاط فيه مرتكزاً على إصلاح الأسلحة البيضاء، ثم تحول إلى إصلاح الأسلحة النارية، وظلّ قائماً رغم أن نشاطه تراجع بشكلٍ كبيرٍ جداً في العقدين الأخيرين.

وكان معظم العاملين في السوق ينتمون إلى عشيرة البوكسار. ومن أشهر من مرّ عليه الحاج صالح الحمود الملقب بالمختار، والسيد طه العزاوي وحج قدور الطعمة والسيد يوسف العزاوي.

سوق النجارين: وهو السوق الذي يقع في آخر شبكة الأسواق، كامتدادٍ لسوق الحبوب باتجاه الساحة العامة، حيث تقطع

هذا الامتداد نهاية سوق التجار لتفصل بين السوقين. وربما يعدّ هذا السوق هو الأكثر حميميةً بالنسبة لأهالي المدينة، فمن يدخل إليه يشعر وكأنه عاد بالزمن عدة عقودٍ إلى الوراء، أو أنه دخل متحفاً دون أن يعي. ولا غرابة في ذلك، إذ إن معظم الأدوات المصنوعة في هذا السوق موجودةٌ في متحف الفنون والتقاليد الشعبية القريب من السوق المقبي، مثل العبّارة والأسرّة الخشبية بأنواعها والمخمر.

سوق الحبوب: وفي هذا السوق كان يتم تصريف محصول القمح والشعير اللذين كان يتم شراؤهما من ريف دير الزور ومن الميادين والبوكمال ومن الحسكة والقامشلي أيضاً. كما كان هذا السوق يعتمد أيضاً على تجارة الصوف الذي يشترى من ريف دير الزور ومن الرقة ويتم

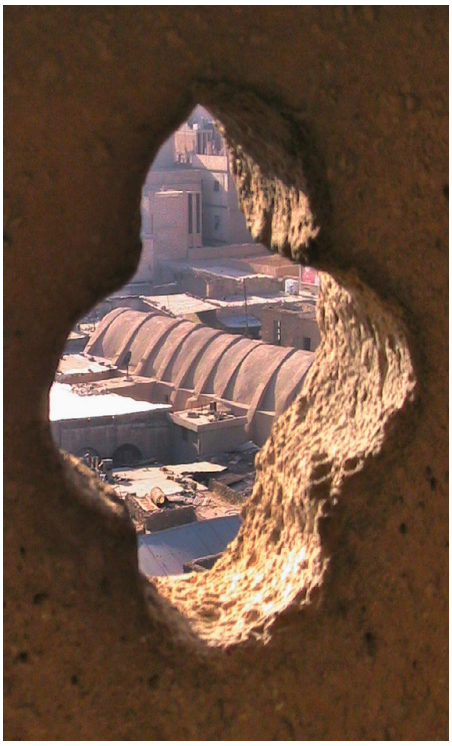

تصريفه في حماة. كما يتميز السوق بوجود محلٍ للأحذية يقارب عمره 100 عام، هو محل السيد دحام شاكر المصطفى، والذي يعرف حتى اليوم كأشهر محلات السوق.

سوق الحبال: ويقع في الجزء الغربيّ من شبكة الأسواق القديمة، ويتصل يميناً بشارع الجسر، ويساراً بسوق عكاظ. ويتمّ فيه بيع العديد من مستلزمات البدو والريف التي تتعلق بالترحال، مثل بيت الشعر والجوادر والأوتاد، بالإضافة إلى الحبال بجميع ألوانها وأحجامها وأشكالها. وقد تراجع نشاطه كثيراً في السنوات الأخيرة بسبب الظروف المناخية السيئة وتراجع الثروة الحيوانية عموماً، فبات يقتصر على مجموعةٍ صغيرةٍ من المحلات تغيّر نشاطها التجاريّ مع الزمن، فصار يحوي بضائع أخرى لا علاقة لها بنشاطه الأصليّ. ومن الجدير بالذكر أنه بالقرب من هذا السوق كانت هناك مجموعةٌ من المحلات لتبييض النحاس كان الناس يحضرون إليها أوانيهم النحاسية قبل أن تندثر هذه المهنة في هذا السوق، ويتم في العام 2009 إغلاق آخر محلٍ فيه يختصّ بها.

عن تدمير جزءٍ من السوق المقبي حدثنا الشاب (م. ن): عملت في السوق المقبي مع والدي منذ أن كنت في الخامسة من عمري. حين علمت أنه تمّ تدمير جزءٍ منه، وشاهدت صور الدمار بعد ذلك، شعرت أن أحدهم قد طعنني في صدري. عمري كله ضاع تحت ذاك الركام. شكرت الله أن والدي توفي قبل ذاك اليوم الأسود. ودعوت كثيراً لأولئك الذين أفنوا أعمارهم تحت سقفه المنهار.

حواجز المناطق المحرّرة
بين الضرورة والتذمّر

عمر ظافر

لا شك في أن الأمن والأمان أصبحا اليوم في صدر قائمة اهتمامات الناس، ومطلباً دائماً لمن يعيش في المناطق المحرّرة. وبين هاجس الضرورة الأمنية وانعكاسات الحذر الأمنيّ تعود قضية الحواجز التابعة للفصائل المقاتلة وللهيئات الشرعية لتطفو على السطح، بعد كثرتها وشكوى بعض الناس منها.

حواجز أم عراقيل؟

تعدّ الحواجز وسيلةً أمنيةً لا غنى عنها، وحاجةً لا تخفى على أحد، لأنها خط الدفاع الأول للمدن والتجمعات السكانية في وجه المخربين واللصوص وأتباع النظام. ولكن كثرتها في بعض المناطق، وعلى الطرقات الرئيسية، باتت قضيةً بحدّ ذاتها، إذ يرى الكثير من الناس أن 90% منها ليست ذات فائدة.

ولعل جهل البعض لما تقدّمه الحواجز من فوائد أمنيةٍ يدفعهم لانتقادها بشكل لاذع، والمطالبة بإزالتها نهائياً. فأبو بندر، وهو سائق سيارة أجرة، يصفها بالعراقيل، ويقول: "حتى اللحظة لم أرَ أيّ داعٍ لها. وهي لا تتجاوز كونها عراقيل لحياة النّاس، إذ نقف دقائق طويلةً ليقوم الحاجز بتفتيش هويات الركاب وبسؤالهم من أين جاءوا وإلى أين ذهبوا، ليقول في النهاية: تفضلوا. وهذا بعينه خطأ، فماذا لو كان المطلوبون أمنياً يسيرون بهوياتٍ أخرى، أو يسلكون طرقاً أخرى؟ لقد أصبحت المسألة مزعجةً للغاية، ومستنزفةً للوقت".

من الرقة | عدسة معن

ضرورةٌ لا بد منها

ولنكون على مقربةٍ أكثر من هذه المسألة التقينا بأحد المسؤولين الأمنيين في مدينة الميادين (أبو حمزة) ونقلنا إليه ما يدور في الشارع من أقاويل عن كثرة الحواجز وسوء سلوك بعض العناصر الموجودة عليها، فقال: "أولاً؛ الحواجز اليوم أصبحت ضرورةً ملحةً ولا غنى عنها. فعندنا في مدينة الميادين - على سبيل المثال - توجد أربعة مداخل للمدينة، والحركة فيها لا تتوقف، فكيف لنا أن نضبط أمن المدينة إذا لم نقم على كل مدخل حاجزاً؟! وكم تمكنت هذه الحواجز من القبض على لصوص ومخربين وعملاء للنظام كانوا يريدون إرهاب الناس. وبوجود هذه الحواجز الأساسية نتمكن من ضبط المدن قليلاً. أما الحواجز التي تكثر على الطريق، والتي يتبع كلٌّ منها لفصيلٍ معين، فنحن ضدها، وهي من أسهم بتململ الناس وكثرة شكاتهم. أما بخصوص سلوك العناصر فإن من يقف على الحاجز ليس بالملاك وليس بالمعصوم، بل هو إنسانٌ يتعرض لضغطٍ كبيرٍ لساعاتٍ طويلة، وأن تصدر منه تجاه الناس بعض الكلمات أو التصرفات المسيئة فهذا لا يعني أنه إنسان سيء. ونحن لا نقبل الفعل الخاطئ، ونحاول ضبطه ومعاقبة المسيء، ولكن يجب على الجميع مراعاة ظروف الواقفين على الحواجز كي لا نظلمهم".

صدى الشارع

يتداول الناس اليوم الكثير من القصص والأحداث التي تتحدث عن سوء سلوك العناصر الموجودة على الحواجز، منها ما هو حقيقةٌ ومنه ما هو مبالغٌ فيه ويحمل الكثير من الافتراء.

فروايات حاجز "معبر الجنينة" لا تتوقف، ومنها ما يحمل القليل من المصداقية وأغلبها لا يعرف للحقيقة سبيلاً؛ فهذا يقول شتموني، والآخر ضربوني، وذاك يقول ألقوا أغراضي في النهر، وآخر يقول سلبوني ربطة الخبز. وفي حقيقة الأمر لا تتجاوز المشاكل المشاحنة الكلامية لا غير.

إن كثرة الأقاويل عن الحواجز ترجع إلى سببين رئيسين؛ الأول رفض أغلب الناس تضييق تحركاتهم ولو كان لحساب أمنهم وسلامتهم، والثاني كثرة الضغوط التي تجعل العنصر الذي يقف على الحاجز يخرج عن حدود الأدب في بعض الأحيان. والعناصر السيئة موجودة لكنها قليلة، وليست بذاك الكم الموصوف. أما أبو أحمد فيظنّ بعناصر الحواجز خيراً، ويقول لنا باللهجة العامية: "والله العظيم واحدنا ما يتحمّل يوقف نصف ساعة مكانهم، الله يعينهم".

أخطار الحرائق محدقة... وإطفاء الطبقة مشلول

قيس الرّقي

ما تزال سريّة الإطفاء في الطبقة تنهض بأعباءٍ كبيرةٍ لا تنحصر بما يحدث في المدينة وأحزمتها المحيطة، فقطّاع عملها يصل شرقاً إلى حدود حلب وإلى المنصورة، وتوغل المساحة جنوباً وشمالاً إلى مناطق كبيرةٍ وشاسعة.

ولا تتمتع هذه السريّة بإمكانياتٍ مثاليةٍ بالنسبة إلى الحرائق الكبيرة، إذ تقتصر مهمتها في هذه الحالة على استيعاب الحريق والإحاطة به ريثما يتم رفدها بنجداتٍ من المحافظة والمناطق المجاورة. وهذا مؤشرٌ خطيرٌ، لا سيما وأن المدينة تجاور السدّ بمحطاته الحرارية العملاقة العاملة على الزيوت التي قد تسبب حرائق ضخمة، ناهيك عن حقول النفط المحاذية للمدينة جنوباً، وهي بحدّ ذاتها بؤر أخطارٍ قابلةٌ لإحداث حرائق عملاقةٍ في أية لحظةٍ وعند أيّ خطأ عابر. أمّا الحرائق الصغيرة فأمرٌ كان يمكن تداركه فيما سبق، في ظلّ ما كان متوفراً من آلياتٍ ووقودٍ ومعدات، وقد استطاعت السرية القيام فيه بعملها بشكلٍ محمود، ولكن...

يقول المهندس إبراهيم عثمان، رئيس مكتب الخدمات في المجلس المحليّ لمدينة الطبقة: تمرّ سرية الإطفاء بحالةٍ من الشلل الذي يتراوح بين التامّ أحياناً والجزئيّ أحياناً، بسبب الاحتياج الكبير إلى الوقود الذي يصعب تأمينه نتيجة الارتفاع الحادّ لأسعاره وعدم قيام أية جهةٍ بتأمينه لصالح السرية، في الوقت الذي يطالبها الجميع بالعمل لدرء مخاطر الحريق عند حدوثه. ولا يتوقف الاحتياج عند هذا الحدّ، بل يتعدّاه إلى قائمةٍ تطول من مركباتٍ كيميائيةٍ متعلقةٍ بإطفاء الحرائق، من موادٍ رغويةٍ ومدافع مائية، إلى جانب مستلزماتٍ خاصةٍ بالعاملين من ألبسة الوقاية المضادة للحريق والأحذية الخاصة وبدلات الغوص التي يستلزمها عملهم، لأنهم معنيّون أيضاً بإنقاذ الغرقى وانتشالهم من البحيرة عند حدوث تلك الحالات. فصار أفراد السريّة يستخدمون وسائل بدائية لإطفاء الحرائق، كالماء والتراب والرفوش. علماً أنهم لم يتلقوا مرتباتهم منذ أشهرٍ عدّة، وقد تخلت عنهم جميع الجهات، لدرجة أنهم صاروا يجدون أنفسهم مطالبين بالواجبات ومحرومين من أبسط الحقوق.

من حريق مركز الطبقة الثقافي

يقول أبو خالد (50 عاماً) من أهالي الطبقة: إن الاعتماد الكبير على الطاقة الكهربائية في كل أعمال التدفئة والأشغال المنزلية، بعد ارتفاع أسعار الوقود، زاد من الأحمال التي تعانيها الشبكة الكهربائية في المدينة، وهي شبكةٌ متهالكةٌ في الأصل، لم يتم تجديدها منذ تركيبها بدايةً قبل عشرات السنوات، فهي في حالةٍ سيئة، ومهيأةٌ للأعطال والاحتراق في كل جزءٍ من أجزائها. كما أن الانتشار الكبير لباعة الوقود، من مازوتٍ وبنزينٍ مكرّرين بطريقةٍ بدائية، والذين يتوزعون على الأرصفة والشوارع بشكلٍ لافت، يعدّ أمراً آخر يزيد من الأخطار المحدقة بالناس، مما تحدثه من حرائق بغير قصدٍ أو نتيجة وقوع القذائف قربها - وقد حدث ذلك وأدّى إلى وفاة أشخاصٍ كثر - وعند عجز سرية الإطفاء عن القيام بعملها فإن هذا قد يؤدّي إلى نتائج كارثية. ومما يزيد الطين بلة ضيق شوارع المدينة وحالات الاستيلاء والتعدّي بأعمال البناء او بالرصف العشوائي أو بتجاوز أصحاب المحلات التجارية على الشوارع الفرعية، مما جعل دخول السيارات مستحيلاً. ففي كثيرٍ من الأحياء باتت أعمدة الكهرباء ومجاري خدمات الصرف الصحيّ داخل الأحواش، التي امتدّت لتستولي حتى على الأرصفة. ومن ناحيةٍ ثانية تحيط بالمدينة أحراشٌ وغاباتٌ شاسعة، وقد حدث فيها غير حريقٍ تم تداركه بشقّ الأنفس، وبعد الاستعانة أحياناً بإطفاء المحافظة، جرّاء العجز الكبير الذي تعانيه سريّة إطفاء الطبقة، والتي انخفضت معدلات جاهزيتها إلى حدودها الدنيا في أحسن أحوالها.

ويتساءل العاملون في السريّة بحرقة: أين تلك الجهات التي نصّبت نفسها لإدارة المدينة؟ أم أنّها في الواجب مسؤولة وفي الحقوق معفاة... وقد رفض جميع هؤلاء العاملين الحديث بشكلٍ مباشرٍ مع "عين المدينة".

لنخفّف من اللوم... ولـننتقد بجدّية وعلى بيّنة

يوسف عبد الأحد

منذ أن خرجت الثورة عن عفويتها الأولى، وهو خروجٌ طبيعيٌّ فرضه طول المدّة وتكاثر المهامّ والحاجة إلى التنظيم، صار فيها «مسؤولون» وقادةٌ على مختلف المستويات وفي مناحٍ واختصاصاتٍ متعددة. ففي البداية احتاجتْ التنسيقيات إلى مدراء، وإلى مسؤولي مكاتب أو قطاعات، ثم احتاج العمل العسكريّ إلى قادة كتائب، فألوية، فعملياتٍ وجبهات، كما احتاجت الإدارات (المجالس المحليّة) إلى الهيكل نفسه من المسؤولين وأمناء المكاتب. وبالتوازي مع ذلك كله برزت الحاجة إلى تمثيلٍ سياسيٍّ للثورة، فنشأت الكتل، التي تشكّل منها المجلس الوطني، فالائتلاف، اللذين تعاقب على رئاستهما ومكاتبهما أكثر من شخص وتيار، كما هو معروف. وأخيراً ظهرت الحكومة المؤقتة، لتحاول تسيير شؤون البلاد والعباد، بقدر.

ولا يخفى على أيّ مشاركٍ في الثورة، أو متابعٍ لها، مقدار ما تعرّض له كل من تسنّم «منصباً» مما ذكرنا من لوم واتهاماتٍ وشتائم... إلخ، من أدنى سويّاتٍ هذه المهامّ وحتى أعلاها. كما لا يخفى أن اللائم عادةً ما يرى في نفسه الأهلية الكاملة التقويم، وأن ما فات هذا الناشط أو القائد العسكريّ أو المسؤول السياسيّ كان أمراً بدهياً لا ينبغي لمن كان في مثل موقعه أن يفوته، وأننا بسبب ذلك قد خسرنا موقعاً أو معركةً، على الأرض أو في أروقة السياسة أو في مجالات الإدارة أو الخدمات أو الإعلام.

من وجهٍ أول، يشير ما سبق إلى عافية السوريين من عبادة الفرد وغريزة اتباعه من قبل قطيعٍ من المؤيدين السادرين، على ما كانت أيام حكم الأسدين، وسواهما. وهو أول أهداف الثورة التي نادت بحرية التفكير والنقد ومساءلة أولي الشأن، مما يحيل هذه السلوكات على الجانب الإيجابي، من حيث المبدأ، ولوهلةٍ أولى سريعةٍ ولكنها صحيحة. أما من جانبٍ آخر، فإن عدم انبناء هذا النقد – في معظم الحالات – على إحاطةٍ كافيةٍ بظروف الحال وواقعه، وخروجه عن دائرة التصويب المطلوب والمحمود إلى الانتقاص السهل والمجاني؛ هو دليل أمراضٍ في النفس تأبى إلا أن تمدّ رأسها، لحسدٍ شخصيٍّ أو لدوافع الغرور وادّعاء كمال الذات مقابل النقص الثابت في إمكانيات الآخرين ومعارفهم.

وإذا عدنا إلى نقطة البداية، ينبغي علينا أن نتذكر أننا جميعاً قد قدمنا من دون خبراتٍ تذكر، نتيجة عهود ظلام البعث من جهة، ولتكاسلٍ أصيلٍ فينا من جهةٍ أخرى. وأن هذا «المسؤول» هو مثلنا ببساطة، قد ولّته أيام الثورة، أو ولّى نفسه، مركباً صعباً لم يكن يعدّ نفسه له في الحقيقة. وبالتالي فربما لو كنا مكانه لارتكبنا الأخطاء ذاتها، أو أشدّ منها بكثير، نتيجة نقص تأهيلنا أيضاً، الذي لا تصلحه – بالطبع – متابعاتنا لنشرات الأخبار خلال ما يقرب من ثلاث سنواتٍ من عمر الثورة.

أما الأهمّ، فهو أن الإمكانيات المتوافرة بين يدي الثورة والثوّار قليلة، بل قليلةٌ جداً، في مختلف الجوانب المادية والعسكرية والإغاثية والمساندة الدوليّة والإقليميّة. وهذا سببٌ هامٌّ في تعثر جهود القائمين عليها هنا وهناك، ولا يرجع الأمر بالضرورة إلى ضعف مهاراتهم الشخصية، بل في كثيرٍ من الأحيان إلى قلة ما بين أيديهم من أوراق ضغط، لأسبابٍ كثيرةٍ منها تشرذمنا الداخليّ، ومنها تلكؤ أصدقائنا وترددهم، وثبات وتماسك الحلف الذي استقرّ عليه النظام أخيراً داخلياً وخارجياً، مما يجعل تأثير مهارات الأفراد على تغيير الوضع محدوداً للغاية. وبعض هؤلاء يبذل قصارى جهده بالفعل، دون أن يصل إلى نتيجةٍ من الدوران في حلقةٍ مفرغةٍ من التجاذبات الدولية والإمكانيات العسكرية التي لا تمنح القدرة على الحسم.

ليس المقصود من ما سبق إعادة رفع «مسؤولينا» البسطاء إلى سويّاتٍ تتعالى عن النقد، بل الهدف هو التبيّن في المسألة التي نريد تناولها، وجمع المعطيات الكافية عنها، لننقد من نشاء بناءً على معلوماتٍ جادّةٍ وتحليلٍ نشتغل عليه. فإن لم نكن نملك الوقت والجهد الكافيين للإحاطة بالمسألة فلنلتمس لإخواننا أعذاراً، فأيّ حملٍ من أعباء الثورة الآن حملٌ ثقيل. وإذا كان بعض من يتسنّمون المراكز ويحتلون الكراسي مضطربين وغير فعّالين كما ينبغي، فليس الحلّ في تأنيبهم السهل ودون مسؤولية، وكأننا نراقب مباراة كرة قدم، ونوجّه تعليماتنا لهذا اللاعب أن يمرّر لذاك، أو أن يسدّد من تلك النقطة...

ثورتنا أمانة، فلنجتهد أن نؤدّيها بأفضل وجه.

32 عاماً... والمجازر مستمرّة

محمد عثمان

تصادف في هذا الشهر ذكرى مجزرة حماة، التي بدأت في 2 شباط 1982، واستمرّت سبعةً وعشرين يوماً، وسقط فيها عشرات ألوف الشهداء. وفي هذه الأيام لا يسعنا إلا استذكار هذه الجريمة الوحشيّة، التي لو عوقب عليها نظام الأسد لما اضطررنا إلى دفع أثمانٍ أشدّ لاقتلاع شجرته الخبيثة من جذورها الآن. نقلّب صفحاتٍ من هذه المجزرة، من خلال هذا الكتاب الذي صدر بعدها بعام.

ففي ليلة ثلاثاءٍ ماطرةٍ بدأت قوّات سرايا الدفاع والمخابرات العسكريّة هجومها على حيّ البارودية وسط المدينة، ثم آزرتها القوّات الخاصة والإنزالات من الحوامات، والرمي بالمدافع وراجمات الصواريخ والدبابات على الأحياء السكنية والمساجد، التي ما لم يهدم منها كلياً تمّ قصف مئذنته بشكلٍ مقصود، حتى لم تعد تُرى في المدينة مئذنةٌ سليمةٌ واحدةٌ إثر السيطرة عليها في نهاية هذه الأيام الدامية.

ومنذ اليوم الثالث للاشتباكات بدأت القوات الغازية بارتكاب المجازر الجماعية، في حيّ جنوب الملعب، الذي كان حياً حديث التخطيط لا يتيح للمقاتلين التمترس فلم يوجدوا فيه أصلاً، فدخلت قوات الأسد دون أيّة مقاومة، ولكنها جمعت سكان الحيّ الهادئ باستدعائهم بالميكروفونات، ولما اطمأنوا إلى أن المطلوب فقط تحذيرهم من المشاركة في العمليات العسكرية، وزاد عددهم، بدأت حفلة الإهانات والتعذيب، فملحمة الرصاص التي لم تبقي أحداً من السكان المتجمعين حياً. وصارت هذه سنّة هذه القوات في كلّ حيٍّ تسيطر عليه تقريباً، تجمع رجاله في الحدّ الأدنى. وترصفهم على الحائط وتطلق عليهم النار!

وإذا كان الضحايا قد مضوا إلى ربهم فما حاجتهم إلى متاع الدنيا؟ وهنا كان لقوات "النظام" وظيفةٌ أخسّ وأكثر انحطاطاً، وهي نهب البيوت والمحلات وتحميلها في السيارات العسكرية، بالتوازي مع المعارك الدائرة. ويروى أن هذه القوات قد حمّلت من السوق الطويل وحده . وهو السوق التقليديّ الذي يناظر سوق الحميدية الدمشقيّ . ستين شاحنة، قبل أن يأمر الضابط بإعدام الأهالي المساكين الذين أجبرهم على هذه المهمة، ثم بإحراق المحالّ التي صارت فارغة!

وإذا كان التوجه الانتقاميّ والإجراميّ لدى قوّات النظام العسكريّة هو نحو القتل الجماعيّ، فقد تضارب هذا مع توجّه أجهزة الأمن التي كانت تفضّل الحصول على بعض المعتقلين لاستجوابهم والحصول على معلوماتٍ عن شبكات المقاومة وتمركزها، مما أدّى إلى مفارقاتٍ سوداء، كاحتجاج العقيد يحيى زيدان، رئيس فرع الأمن العسكريّ، على الإعدامات المباشرة التي تفوّت عليه فرص العثور على خيوطٍ جديدةٍ في التحقيق، ثم ورود الأمر من "القيادة الحكيمة" بإعطائه حصةً من الأسرى ليحقّق معهم في سجونٍ مرتجلةٍ ضاقت على قاطنيها. لكن شهية المقدّم علي ديب، قائد قوّات سرايا الدفاع المشاركة، للقتل كانت أقوى فيما يبدو، ففي الأيام الأخيرة، وعندما تمّ اعتقال 1500 شخص من منازلهم بهدف التحقيق، ومنهم مفتي المدينة ورئيس جمعية علمائها وعددٌ من المشايخ وأساتذة الشريعة، اختفى هؤلاء إلى الأبد، وقيل إنه تمّ دفنهم في مقبرةٍ جماعيةٍ واحدةٍ في ريف حماة.

أما من أسعفه الحظ بأن يكون معتقلاً بالفعل، في تجمعاتٍ استخدمت لهذا الغرض في مدارس ومعامل وثكناتٍ عسكرية، فقد عانى من ظروفٍ غير قابلة للتصور من التعذيب الوحشيّ وندرة الغذاء والماء، والاستهانة الكاملة بالحياة. فقضى الكثير من المعتقلين تحت هذه الظروف، ونقل بعضهم إلى السجون المعتمدة للنظام، كسجن تدمر، وأفرج عن الباقين.

وبالتوازي مع كلّ ذلك، كانت قوات الأمن في باقي المدن السورية، بعد استتبّ لها الوضع منذ أشهر، إثر خفوت المواجهات الدامية، مطلقة اليد في الاشتباه بأي حمويّ، سواءً كان ضابطاً في الجيش أو مجنداً أو موظفاً أو طالباً جامعياً، لمجرّد انتمائه إلى هذه المدينة، التي لا بدّ وأنه يتعاطف مع الإرهابيين من أهلها!

هل يذكّرنا كلّ ذلك بشيء؟ أم هل يذكّرنا كلّ ما يجري الآن بما حدث في حماة عام 1982؟!!!

الحرب السوريّة في أدبيّات العلوم السياسيّة

ترجمة وإعداد: منصور العمري | خاص عين المدينة

من لاعبي الفيتو إلى العواطف

مع دخول الحرب في سوريا عامها الثالث يستمرّ تحولها إلى صراع وحشيٍّ أسفر حتى الآن عن مقتل أكثر من مئة ألف شخص، وتسبّب في نزوح الملايين عن ديارهم. الحراك، الذي بدأ انتفاضةً سلمية، انتقل إلى أن يكون الحرب الأهلية الأكثر دمويةً في العالم، والتي تغذيها مجموعةٌ من التدخلات الخارجية في جميع الأطراف.

يكاد الصراع السوريّ يكون أول حرب أهليةٍ معقدةٍ بهذا الشكل يشهدها العصر الحديث، فماذا تقول أدبيات العلوم السياسية في الحروب الأهلية وحركات التمرّد عن الحرب المتصاعدة في سوريا؟

نشرت مجلة فورن بوليسي نتائج ورشة عمل بعنوان "العلوم السياسية والحرب في سوريا" أقيمت في جامعة جورج واشنطن، قسم العلوم السياسية في الشرق الأوسط، تناولت من منظورٍ مقارنٍ وببصيرةٍ نظرية، الصراع الدائر في سوريا. وشارك في هذه الورشة عددٌ من كبار المختصين في الحروب الأهلية، وعددٌ من المتخصّصين في الشأن السوريّ، ومجموعةٌ من مسؤولي الحكومة الأمريكية الحاليين والسابقين الذين يركزون في عملهم على سوريا. وتوصلوا جميعهم إلى أنه "لا يمكن التكهن بأي حلٍّ عسكريٍّ أو تفاوضيٍّ للحرب السورية"، ولكن هذا فقط جزءٌ من القصة، فالأمر الأكثر إثارةً للاهتمام هي الأسباب التي أدّت إلى امتناع الحرب السورية عن الحلّ، وكيف أسهمت السياسات الدولية في هذا الأمر.

تفرّد الحالة السورية

لا يمكن الاعتماد على نظريات العلوم السياسية السابقة ونتائجها، كأن نقول إن حلول التسوية في التجارب السابقة كانت فاشلة بنسبة 68%، أو أن الدعم الخارجيّ للجماعات المتمردة عادةً ما يجعل الصراع أكثر دمويةً ويطيل عمره، كما أنه لا يمكن مقارنة الحال السورية بغيرها، لأنها تختلف بشكلٍ كبيرٍ عن بقية الصراعات.

فالحالة في سوريا هي خليطٌ من نظام متماسكٍ نسبياً ترعاه جهاتٌ خارجيةٌ قويةٌ، ويسيطر على المناطق الأكثر أهميةً استراتيجيةً في البلد، وتتنافس مجموعاتٌ متنوعةٌ من الفصائل المعارضة المحلية وفصائل جهاديةٌ أجنبيةٌ للسيطرة على بقية المناطق. أكثر الصراعات قرباً من الحالة السورية هي أفغانستان في ثمانينات القرن الماضي، وجمهورية الكونغو الديمقراطية في بداية القرن الحاليّ، ولكن الحرب السورية تلوّح بمستقبلٍ سيءٍ للغاية خلال العشر سنوات القادمة.

عدسة Fabio Bucciarelli | حلب

في الوقت نفسه، فالعديد من الميزات التي تظهر الحالة السورية على أنها فريدةٌ من نوعها ليست كذلك، فالانقسام والمعارك الداخلية للمعارضة نموذجيةٌ تماماً، وأيضاً الآثار الضارّة للدعم الخارجيّ غير المنسّق للفصائل المسلحة، واستهداف المدنيين لأسبابٍ تكتيكية، وتسييس المساعدات الإنسانية؛ أمورٌ ليست جديدةً من نوعها. ليس هناك شيءٌ غير عاديٍّ حول ظهور الاقتصاد السياسي للحرب، لسوء الحظ، ورثت الحرب السورية كل هذه المحرّكات الديناميكية. وفي مقارنةٍ مع بعض الصراعات الدموية الأخرى في التاريخ المدنيّ، فالحرب في سوريا لا تزال في بدايتها، رغم مرور ثلاث سنوات تقريباً.

حرب الشرعيّات البديلة

حتى شدّة العنف ضد المدنيين، والحجم الهائل من النزوح، هي نموذجيةٌ في هذا النوع من الصراعات، إذ يستخدم النظام السوريّ القوة بشكلٍ وحشيٍّ ومكثفٍ جداً لأنه لا يهدف فقط إلى إلحاق الهزيمة العسكرية بمعارضيه، ولكن إلى منع جهود المعارضة من بناء هياكل الحكم الشرعيّ البديل.

فبينما يترتب على المعارضة السياسية إثبات قدرتها على توفير الخدمات الأساسية والاستقرار والأمان في المناطق التي تسيطر عليها، يقوم النظام بمحاولة تقويض تلك الجهود من خلال إطلاق الصواريخ العشوائية، وغيرها من الأعمال العسكرية غير العقلانية الأخرى، والحرمان من وصول المساعدات الإنسانية على اختلافها.

وفي الوقت نفسه، فإن الطبيعة المجزأة للمعارضة تعني أنه ليس من المستغرب أن نرى الجماعات المتمرّدة غالباً ما تقاتل بعضها أكثر من قتالها ضد النظام. فالجماعات المتمرّدة لا ترغب فقط في إسقاط نظام الأسد المكروه، لكنها تخشى أيضاً من سيطرة منافسيها داخل المعارضة والاستئثار بنتائج النصر. ووثق معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في حالاتٍ من أفغانستان إلى البوسنة أن الجماعات المتمرّدة التي تفتقر إلى البنية المؤسساتية المشروعة والفعالة غالباً ما تغيّر ولاءاتها وتحالفاتها بسرعة.

معضلة التشرذم

تحدثت مجموعةٌ أخرى من المختصّين عن سيناريوهاتٍ مختلفةٍ لتغيير الصراع السوريّ، ولكن مع تداعياتٍ تؤثر على المدنيين وعلى النتيجة النهائية للحرب على حدٍ سواء. فاقترح جيمس فيرون من جامعة ستانفورد أنه إذا استمرت الحرب وتوضحت أطرافها وجبهاتها فذلك سيخفف من الضرر الذي يتعرّض له المدنيون.

وقال جون شولفر من جامعة فيرجينيا إن الفصائل المعارضة كلما أمنت جانب النظام ستقتتل فيما بينها، كما يمكن أن يتلاشى العنف أيضاً مع استقرار علاقات القوى المحلية واتجاهها إلى أنماطٍ أكثر قابليةً للتنبؤ، فضمن إطار الحرب الأهلية تتسبب مجموعةٌ متنوعةٌ من الدوافع المحلية باندلاع العنف أغلب الأحيان.

إن التفتت والاقتتال الداخليين في المعارضة السورية هو نموذجٌ من نوعٍ معين من الحروب الأهلية وهو النوع الأقل قابليةً للحلّ الدبلوماسيّ، والأكثر انفتاحاً على التدخل الأجنبيّ غير البنّاء، والأقلّ احتمالاً لإنتاج الاستقرار في مرحلة ما بعد الحرب. وقال بول ستانلاند من جامعة شيكاغو إن هذا التشرذم بدأ في وقتٍ مبكر من الانتفاضة السورية التي اندلعت في أنحاء البلاد بطريقة محلية، مع عدم وجود قيادةٍ مركزيةٍ حقيقيةٍ أو تماسكٍ مؤسسيّ، وإن عدم التماسك الأوليّ الذي وسم الثورة غير قابلٍ للإصلاح، وتوحيد الفصائل المعارضة مهمةٌ صعبةٌ للغاية.

أضاف ويندي بيرلمان من جامعة نورث ويسترن أن الانتفاضة السورية كانت متماسكةً في بدايتها بشكل غير متوقع، ولكنها فقدت هذه الميزة عندما استحوذت الفصائل المسلحة على قيادة الحراك المدنيّ لعدة أسباب؛ منها ضغوط الحرب، والتسليح غير المنتظم أو المتّسق لفصيلٍ دون آخر، وهو ما تقوم به القوى الأجنبية، وأحياناً تشكل فصائل جديدة. هذا الدعم يقوّي اللاعبين المحليين ولكنه يحولهم إلى أتباع لأجندات ومصالح الجهات الراعية الخارجية.

الدعم غير الحاسم

إن الآثار الضارة للتمويل غير المنسّق والأسلحة من قطر وتركيا والمملكة العربية السعودية، والشبكات الخاصة بتحويل الأموال من الخليج إلى سوريا، هي بالضبط ما يقع في إطار أدب العلوم السياسية "فالتجزئة في مصادر وتوزيع المال للثورة هو واحدٌ من أهم أسباب التفرقة في صفوفها".

وقد جادل العديدون أن الولايات المتحدة قد تغيّر كلّ هذا بتقديم المزيد من الدعم للجيش السوري الحرّ، من خلال تنسيق تدفقات المعونة من حلفائها على نحو أكثر فعاليةً والتوسّط في خلق هيئةٍ معارضةٍ سياسيةٍ سوريةٍ لاستقبال الدعم. ولكن ستانلاند شكك في فعالية هذا الأسلوب إذ إن "ضخّ الدعم الماديّ إلى مجموعاتٍ ضيقةٍ قد يوفر بعض التعاون المحدود من الفصائل التي تحتاج إلى المساعدة، ولكن من غير المرجّح أن يؤدي إلى تغيير تنظيميٍّ عميق، وهذا يعني أن الدعم الخارجيّ لجماعاتٍ غير منضبطةٍ أساساً لن يفعل الكثير".

وبحسب شولفر، أدّى الدعم الخارجيّ للجماعات المعارضة المسلحة بهذه الطريقة إلى النتيجة الأسوأ من كلّ الاحتمالات الممكنة، حين امتدّ القتال وجعل التسوية أكثر صعوبةً وأدّى إلى زيادة مخاطر الاقتتال بين الفصائل وسهّل أيضاً صعود المتطرفين. إذ إن هذا النوع من الدعم أدّى إلى ضمان بقاء الفصائل على قيد الحياة في حربها ضد النظام، ولكن مع افتقارها إلى القدرة على إلحاق الهزيمة الحاسمة به.

بسبب عدم التدخل العسكريّ المباشر من قبل الولايات المتحدة أو بعض القوى العسكرية المهيمنة الأخرى - وهو سيناريو غير مرجّح - تشير أدبيات العلوم السياسية إلى أن تسليح الثورة السورية المجزأ من المرجح أن يجعل الحرب أطول وأكثر دمويةً وأقل قابليةً للحل... تماماً مثل ما حدث مراراً وتكراراً في حالاتٍ أخرى.

لاعبو الفيتو السوريون

لذلك، فإن معظم المختصّين المساهمين في ورشة العمل متشائمون للغاية إزاء احتمال إنهاء الحرب الأهلية في سوريا في أي وقتٍ قريب. فالصراع في سوريا يحتوي أسوأ تكويناتٍ ممكنة؛ من معارضةٍ متشرذمة، وكثيرٍ من المفسدين المحتملين، والجهات الفاعلة الخارجية التي تتدخل بما فيه الكفاية للحفاظ على الصراع المحتدم، ولكن ليس بما يكفي لوضع حدٍّ حاسم للحرب. وأشار ديفيد كننغهام من جامعة ميريلاند إلى عددٍ من "لاعبي الفيتو" في سوريا، الذين يمكن أن يعرقلوا أية تسويةٍ ما لم تراعي مصالحهم. بالإضافة إلى مشكلة عدم الالتزام الكامنة في أي اتفاقٍ عن طريق التفاوض، حين لا يثق أيٌّ من الجانبين بالآخر في عدم مواصلة القتل إن ألقى أحدهما السلاح. وأوضح فيرون أن جماعات المعارضة تسعى لتغيير النظام بدلاً من وعود الإصلاح، لأنهم يعتقدون أن الدكتاتور سوف يتراجع عن الالتزامات في أقرب وقتٍ إن توقف التهديد لوجوده، وهو ما أثبتته أدبيات العلوم السياسية. وخلصت باربرا ولتر من جامعة سان دييغو إلى أن "احتمالات التوصل الى تسويةٍ تفاوضيةٍ ناجحةٍ في سوريا قريبة من الصفر"، فكل المؤشرات تؤيد الاستنتاج بأن الحرب في سوريا سوف تستمر لفترةٍ طويلة. ولكن لحسن الحظ يعارض هذا التوقع كل من ليلى وكاليفاس من جامعة ديوك ويقولان إنه قد يكون هناك بصيصٌ من الأمل في حقيقة أن الحرب السورية تبدو بالفعل أشبه بالحرب التقليدية، فبياناتها تظهر أن الحروب الأهلية التقليدية ذات "المعارك الضارية والخطوط الأمامية المرئية والقتال في المناطق الحضرية" هي أكثر كثافةً وأقصر وأقلّ احتمالاً أن تنتهي بانتصار النظام من الحروب الأهلية غير التقليدية. فالحالة السورية تشبه الليبية أكثر مما نتصور، وبالتالي هناك فرصةٌ أن تنتهي بسرعةٍ مفاجئةٍ وبهزيمةٍ للنظام.

وماذا سيحدث بعد الحرب؟

للأسف، لم يجد المشاركون في الورشة أي سببٍ وجيهٍ للاعتقاد بأن سوريا ما بعد الحرب ستسير للتعافي في أيّ وقتٍ قريب، ليس فقط بسبب حجم الموت والتشريد اللذين لن يسهّلا استعادة الاقتصاد الطبيعي أو عودة اللاجئين، فالحروب الأهلية الطويلة ترسخ الأسواق السوداء وأمراء الحرب المحليين الذين يعتمد بقاء سلطتهم الاجتماعية على استمرار الصراع. كما لاحظ روجر بيترسن من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا أن الحركات الثورية الدامية، كالحالة في سوريا "يمكن أن تخلق مشاعر قوية". فكيف يمكن توقع العودة إلى حياةٍ طبيعيةٍ في ظلّ الأسد دون أن تسعى المعارضة للانتقام؟ وكيف يمكن للجماعات المرتبطة بنظامه ألا تخشى من هذا الانتقام إن سقط؟ وما هي الآثار النفسية والاجتماعية على المدى الطويل من وحشيةٍ لا حدود لها أفرزتها الحرب، وتراكمت في وجدان السوريين؟

دبلوماسيّة لونا الشبل

لم تتعلم زمرة الأسد من عالم العصابات إلا الجريمة والابتذال، فهي تعجز حتى عن مجاراة العصابات في الظهور بمظاهر الجدّ والمسؤولية، وتخفق في كل مرةٍ في إحراز ولو جزءٍ يسيرٍ من الاحترام. برز ذلك في مؤتمر جنيف الأخير بسلوك أعضاء الوفد الأسديّ فرادى ومجتمعين، وفي تصريحاتهم لوسائل الإعلام، وفي تعليقاتهم الخاصة أيضاً. فلونا الشبل، مستشارة بشار الأسد الإعلامية، على سبيل المثال، لم تكفّ عن الضحك أثناء كلمة وليد المعلم الطويلة جداً والسخيفة جداً أمام العشرات من وزراء خارجية الدول. وتتفاخر لونا بهذه الضحكات التافهة، مفسّرةً ذلك لمقرّبين منها أنها كانت تضحك على كيفية إجبار "الحكومة السورية" لأربعين دولة كانت تحضر افتتاح المؤتمر على حسن الإصغاء طيلة نصف ساعة أو أكثر! وقالت: "اقترحت على وزير الخارجية أن تكون الكلمة طويلةً على هذا النحو، وأن يُتمّها حتى وإن جرت مقاطعته، وهذا الذي حدث". وأضافت لتفسر ضحكةً أخرى: "ضحكت أيضاً على كيري حين كان يضع يديه على خديه مثل العاجز.. لا هو ولا غيره يرغب جدياً أو يستطيع تغيير النظام السوريّ". وفي رسالةٍ أخرى لها، بحسب ما

تناقلت وسائل إعلام الشبيحة وصفحاتهم، تقول لونا: "ضحكت على رأس هيثم المالح المضمّد بالشاش وهو يجلس خلف الجربا كأن أحداً ضربه قبل دخوله المؤتمر". ثم لا تلبث أن تضفي شيئاً من الجدّ في رسائلها عن المؤتمر بطمأنة قطعان الشبيحة على مستقبل قائدهم السياسي: "لا تقلقوا، الرئيس باقٍ وسيترشح لولايةٍ ثانية، ولا يستطيع أحدٌ تغيير هذا الواقع بما في ذلك الولايات المتحدة. وسنبقى في المؤتمر حتى يملّ الآخرون وينصرفوا من حيث جاؤوا.. والأيام القادمة ستثبت لكم صحة كلامي".

لا شيء غريبٌ رغم كلّ هذا، فالدولة التي يصبح فيها قاصرٌ مثل بشار رئيساً تصبح فيها امرأةٌ سوقيةٌ مثل لونا الشبل دبلوماسية.

بيجو 504

لسيارة البيجو 504 مكانةٌ خاصةٌ في قلوب كبار السن من أتباع عائلة الأسد، فهي الذكرى الرائعة من زمنهم الجميل، زمن استباحتهم لكل شيءٍ في هذه البلاد. فهذه السيارة، التي بدأت أجهزة المخابرات السورية باستخدامها منذ مطلع الثمانينات من القرن المنصرم وحتى نهايته، كانت علامةً من علامات الهيبة والتسلط واستقرار الأمر لحافظ الأسد "إلى الأبد" بحسب ما ردد السوريون في تحيات علمهم الصباحية. ويغرورق قلب كل مساعدٍ أول متقاعدٍ من المخابرات دمعاً وشوقاً كلما صدف أن يشاهد هذه السيارة الآخذة بالانقراض من الطرقات، فطالما انطلق بها نحو الفرع يحمل معتقلين، وطالما ملأها بعبوات السمن وأطباق البيض وأكياس البرغل والأرز، والجيب مملوءٌ بقسائم الوقود من الكازيات العسكرية لتفرح بها زوجته في السومرية أو

مزة 86 أو حتى الى الضيعة قرب قرفيص أو عين شقاق أو البهلولية. ويا ضياع تلك الأيام المجيدة وضياع البيجو 504، التي لم يكن تاريخ ولادتها الحقيقيّ عام 1974 في المصانع الفرنسية بالنسبة لآلاف المساعدين الأمنيين وضباط الجيش، إنما هو تاريخ أول مرةٍ عربدت فيها هذا السيارة بسرعةٍ جنونيةٍ في شارع من شوارع دمشق، أو علقت على زجاجها الخلفيّ صورة كبيرة لحافظ الأسد.

شيءٌ اسمه ناهض حتر

لمرتزقة بشار الأسد الأردنيين نكهةٌ خاصة، تجمع بين البلاهة والاضطراب، مع اجترارٍ دائم لمبادئ منقرضة، صُدّرت إليهم في العهد الذي كانت فيه القومية العربية والاشتراكية، بدرجاتها المختلفة، تعتبر مفاهيم حديثة. ودوماً، أيّ مفهوم ثقافيٍّ أو سياسيٍّ يمكن اعتباره بالنسبة لأردنيٍّ مثل ناهض حتر، حداثة. ودوماً، أيضاً، كلّ ما يصدر عن الكتلة الإجرامية المتمثلة بمحور إيران نظام الأسد حزب الله، يعدّ مقاومة. وكلّ من يقف في وجه هذا المحور هو جزءٌ من مؤامرةٍ إمبريالية. والثورة السورية بالنسبة إليه مجرد فصلٍ من فصول هذه المؤامرة المتجددة، فهي مرتبطةٌ بالاستعمار والاستكبار الغربيّين، وصديقةٌ لإسرائيل، ومدعومةٌ من الأنظمة الرجعية، ومحكومةٌ بالتخلف والجهل والإرهاب والتطرف والتعصب.

ولذلك، لا يريد حتر أن يرى التطرف والإجرام في سلوك قطعان الشبيحة أو العصابات الشيعية العراقية أو ميليشيا حزب الله، بل يرى في الأخير طليعةً أخلاقيةً تجمع كل فضائل الجغرافيا والتاريخ، فيخاطب مقاتلي هذا الحزب بقوله: في عُنقي لكم دَينٌ يا أحبتي ورفاقي، لأمهاتكم، لآبائكم، لزوجاتكم، لأبنائكم، لحزبكم العظيم... حزب الله، حزب المسيح ومحمد وعلي والحسين، حزب ماركس وإنغلز ولينين، حزب ميشيل عفلق وأنطون سعادة وفهد، حزب عبد الناصر وحافظ الأسد، القلب المسلّح لحركة التحرر الوطني العربية!

في أيّ مكانٍ من العالم بقي من يكتب مثل هذا الإنشاء الأحمق؟ وفي أيّ مكانٍ أيضاً يمكن العثور على هذا الشيء، ناهض حتر؟

أبـو كامل وزوجتـه وعديله...

من "نشاطات" جمعية الوعد (الخيرية) برئاسة ريم شويش "سليمان"

على قناة المنار ظهرت ريم شويش، ابنة مدينة دير الزور، للحديث عن جمعية الوعد الخيرية التي ترئسها، وتختصّ بالعناية بجرحى قوّات الأسد. وتقدّم مذيعة المنار ريم على أنها زوجة الشهيد المناضل محمد سليمان. ولا يعلم أحدٌ أين ناضل سليمان، إلا إذا اعتبرت الخدمات الجليلة التي قدمها لعائلة الأسد نضالاً، قبل أن تستغني العائلة عن تلك الخدمات ويصدر الأمر بقتله صيف العام 2008 على شاطئ طرطوس، عقاباً - بحسب ما تردد آنذاك - على خطأ ارتكبه في ملف اغتيال المسؤول العسكري في حزب الله عماد مغنية. وللتذكير، كان محمد سليمان، ابن الدريكيش الذي تحول آباؤه من المذهب الإسماعيليّ إلى العلويّ، مستشاراً عسكرياً وأمنياً خاصاً لبشار الأسد، وضابطاً فوق العادة يضطلع بمهماتٍ سريةٍ هامةٍ للنظام، مثل العلاقة مع حزب الله، ومشروع موقع الكبر النووي بدير الزور، الذي دمرته إسرائيل، وغير ذلك من ملفات عصابة الأسد الإجرامية.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد سليمان، أو "أبو كامل" كما يعرفه الكثير من مسؤولي محافظة دير الزور، حين كانوا يقفون على باب أنسبائه من عائلة شويش أملاً بتلبية طموحاتهم الوظيفية والحزبية في الترقي والصعود في مراتب دولة الأسد؛ كان قد تعرف على ريم شويش أثناء مرافقته لبشار الأسد لحضور دورة الوفاء لشقيقه باسل، والتي أقيمت بدير الزور في العام 1996. وكانت ريم آنذاك من فريق الفتيات اللواتي ارتدين الزيّ الفلكلوريّ للمحافظة، وقمن بتقديم الضيافة للوفد الرسميّ على المنصة الرئيسية لملعب الاستاد الرياضيّ، فأثارت إعجاب "أبو كامل"، ليعود بعد مدةٍ وجيزةٍ للاقتران بها كزوجةٍ ثانية، ولتنتقل أسرتها من المستوى الشعبيّ المغمور إلى قبلةٍ للمسؤولين المحليين، كما علّق الحسّاد آنذاك أمام مشاهد السيارات الفخمة التي كانت تقف أمام بيت العائلة في شارع الانطلاق القديم بدير الزور. وفي طريق آخر ظهر عدنان حسن محمود، وهو صحفيٌّ فاشلٌ من قرى مصياف، في حياة العائلة، ليقدم على الزواج من البنت الثانية، طمعاً بالتقرب من صهرها الكبير، وهذا ما حدث حين رُفّع محمود إلى منصب مدير وكالة سانا للأنباء، ثم وزير للإعلام، وهو اليوم سفيرٌ لنظام الأسد في طهران. وأما الشقيقة الثالثة لريم، والتي ظهرت معها على شاشة المنار بصفة معاونة رئيسة جمعية الوعد، فتزوجت من ابن وزير الداخلية السابق سعيد سمّور. وفي سيرة كلٍّ من الشقيقات الثلاث وأزواجهنّ يمكن التقاط الكثير من الأسرار التي ترسم صورةً واضحةً عن حاشية بشار الأسد وموظفيه.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة
- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.
فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

المصوّر الشجاع... أسامة كويش

من أعماله

بعد إصابته على أسوار مطار دير الزور العسكري